الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف –المسيلة–
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

العنوان :

موقف الوضعية المنطقية من الفلسفة

رادولف كارناب أنموذجا

دراسة تحليلية نقدية

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص فلسفة عامة

إعداد الطالب :

رنان عبد الكريم

إشراف الأستاذ:

بوراس يوسف

الموسم الجامعي : 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نحمد الله تعالى ونشكره على أن وفقنا في إنجاز هذا العمل .

ثم بعد ذلك شكرا جزيلا **للأستاذ المحترم "بوراس لخضر"**،

الذي أشرف على هذا العمل ولم يبخل بتوجيهاته

وتصويباته القيمة، دون أن أنسى بالشكر الخاص

الدكتور **راقع أحمد**، والأستاذ الكريم **هجرسي عيسى**

على تزويدي بالمادة المعرفية التي كانت أساس هذا البحث .

والشكر موصول لكاتب هذا العمل الأستاذ **رحماني علي**،

ولكل من ساهم من قريب أو بعيد .

عبد الكريم رنان

إهـــداء

- إلـى :

روح أبي "**محمد** " رحمه الله .

روح أمي الكبرى " **أم الخير** " رحمها الله .

أمي الصغرى الحنونة "**رقية**" حفظها الله .

جميع أفراد عائلتي الكريمة وأخص بالذكر **الزوجة الغالية**

التي تحملت معي عناء البحث .

أبنائي الأعزاء : **هديل، محمد، أنس**

أهدي ثمرة هذا العمل

تعتبر الفلسفة في بداياتها تأملا في العلل الأولى للوجود ، المعرفة ، والقيم . وبذلك فإن أساسها الأول يتمثل في الميتافيزيقا ، باعتبارها « العلم بمبادئ الوجود وطبيعته من حيث هو وجود ، وبمبادئ المعرفة وطبيعتها من حيث هي معرفة »[1]. إذ لا تفكير فلسفي حول موضوع ما دون البحث في العلل القصوى لذلك الموضوع ولأن التفكير الإنساني عامة والفلسفي خاصة يتميز بالتحول لأسباب معرفية فإن مطلع القرن التاسع عشر حمل معه موقفا جديدا من الفلسفة عامة والميتافيزيقا خاصة ، هذا الموقف بشرت به الفلسفة الوضعية وفق رائدها الفرنسي أوغست كونت (August Comte 1798–1857) من خلال مؤلفه الشهير " الفلسفة الوضعية " ، فأشار إلى أن التفكير البشري مر بمراحل ثلاث إذ انطلق من المرحلة اللاهوتية التي ميزها التفكير الديني ، لينتقل بعدها إلى المرحلة المتافيزيقية التي سادها التفكير الفلسفي ، ليصل أخيرا إلى المرحلة الوضعية التي ميزها التفكير العلمي . وقد استقر العقل البشري عند هذه الأخيرة ، « كلما تقدم الإنسان في الدراسة الوضعية للظواهر ترك بالتدرج التفسيرات اللاهوتية والميتافيزيقية »[2] مما يعني نشوء نزعة فكرية جديدة بسبب استقلالية العلوم عن الفلسفة جوهرها " الابتعاد عن الفلسفة والتوجه نحو العلم " . وإذا كان من مبادئ الوضعية عموما مبدأ ضرورة البرهنة على صحة الأفكار بملاحظات علمية وتبريرات حسية ، فإن هذه الأفكار لا حقيقة لها إلا بوجود مقابل حسي لها قبل ذلك .

ولأن التحول الفكري ميزة أساسية في التفكير الفلسفي – كما سبق وأن ذكرنا – فإن الوضعية بدورها شهدت تغيرا جوهريا خلال القرن العشرين ، تغيرا كان سببه الرئيسي الاهتمام باللغة كمجال بحث . فحتى وإن قيل بأن الاهتمام بعلاقة اللغة بالفكر ، بالواقع ،

[1] محمود يعقوبي، معجم الفلسفة ، أهم المصطلحات وأشهر الأعلام ، دار الميزان ، الجزائر ، ط2، 1998 ، ص 156 .

[2] جعفر حسن الشكرجي ، دراسات في الميتافيزيقا والنفس ،مكتبة الأندلس ، د ط ، 2002،ص 52 .

وبالعالم قديم قدم التفكير الإنساني ، إلا أن هذا الاهتمام قد اشتد وأخذ منحى لغويا وتوجها منطقيا تصبح اللغة وفقه وسيلة لفهم العالم .

إن هذا التحول المتأخر قد مثلته الوضعية المنطقية Logical positivism التي رأت أن تأخر الفلسفة مقارنة بالعلم هو نتيجة المشكلات الميتافيزيقية ، وأن هذه المشكلات التقليدية زائفة ، ذلك أن عباراتها الميتافيزيقية دون معنى وجب حذفها

ولأن هذه النظرة تجلت أكثر لدى الفيزيائي الألماني رادولف كارناب Radulf carnab (1891-1970) خاصة لما يكتب مقالا مطولا بعنوان " حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغـة " " the elimination of metaphysics trough logical analysis language " ؛ فإنه يعتبر أحد أهم ممثلي هذه الحركة الفكرية .

ولأن الدارسين لاحظوا أن كارناب لم يجر أي تحقق من المسائل الفلسفية انطلاقا من أن قضاياها ميتافيزيقية ، بل رأى وفق حكم مسبق أنها عبارات خالية من المعنى فهي من دون مدلول وجب رفضها دون تحقق ولا نبحث عن المعنى إلا في القضايا الصورية والقضايا الواقعية التجريبية ؛ فإن هذه الحقيقة المعرفية هي مشكلـة منهجـية في المعرفة بالنسبة لنقاده الذين يعتبرون الموقف الذي تبناه كارناب إزاء الفلسفة دون أساس وهذا ما كان دافعا للباحث لمعالجة موضوع " موقف الوضعية المنطقية من الفلسفة – رادولف كارناب أنموذجا – " معالجة تحليلية نقدية .

وقد انطلقنا فيه من إشكالية عامة رأيناها تؤطر لهذا البحث كالتالي : هل استطاع رادولف كارناب تخليص المعرفة من الفلسفة الأولى وتأسيس معرفة علمية ؟ أم أن محاولته هذه كانت بدون أسس حقيقية وبالتالي فشل في هذا التصور ؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة تساؤلات جزئية أهمها :

– ما قيمة الميتافيزيقا بالنسبة للفلسفة ؟

– ما أسس حذف الميتافيزيقا لدى كارناب ؟

– هل يمكن قبول المشروع العلمي لكارناب اتجاه الفلسفة ؟

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ، أذكر سببين ذاتيين الأول يتمثل في الميل الشخصي لفهم تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، والثاني يكمن في الشعور بأهمية الموضوع والرغبة في إثرائه أكثر خاصة أنه يتناول تيارا فلسفيا معاصرا هاما هو الوضعية المنطقية وفق أبرز روادها " رادولف كارناب " ، أما عن السبب الموضوعي فيتمثل في وجود تصور يحاول علمنة الفلسفة من خلال حذف الميتافيزيقا .

وقد كان الهدف الرئيسي لهذه الدراسة هو الكشف بموضوعية وأمانة علمية عن القيمة العلمية لموقف الوضعيين المنطقيين عامة وكارناب خاصة من الفلسفة .

ونظرا لطبيعة بحثنا فقد جاءت خطته كالآتي :

الفصل الأول بعنوان : الوضعية المنطقية والميتافيزيقا . تضمن **مبحثين الأول** كان مخصصا للوضعية المنطقية باعتبارها تيارا فلسفيا معاصرا بارزا ، إلى جانب الإشارة إلى قيمة الفلسفة الأولى بالنسبة للفلسفة عامة . أما **المبحث الثاني** فرأينا أن يكون متعلقا بالفيلسوف محل دراستنا (كارناب) ، حياته ، سيرته العلمية ، مؤلفاته ، وكذا المؤثرات العلمية والفلسفية في فكره .

الفصل الثاني بعنوان كارناب ... نحو تجاوز الفلسفة ، أدرجنا به **مبحثين الأول** تضمن أسس حذف الميتافيزيقا لدى كارناب ، بينما تضمن **الثاني** نقد كارناب للمدارس الميتافيزيقية من عقلانية ، مثالية ، ووجودية .

الفصل الثالث جاء بعنوان : نقد وضعية كارناب ، **مبحثه الأول** عبارة عن تقيم ومناقشة لأفكار كارناب في هذه المسألة ، بينما **المبحث الثاني** منه فقد كان نتيجة لازمة، جعلناه تأكيدا على صعوبة تجاوز الفلسفة .

لننتهي أخيرا إلى **خاتمة** أدرجت فيها إجابة عن إشكال الدراسة ، كما أدرجنا فيها جملة النتائج المستخلصة من قيامنا بهذا البحث .

أما عن **المنهج** المعتمد في هذه الدراسة فلم يكن واحدا ، وذلك لخصوصية الدراسة فاعتمدنا **المنهج التحليلي** حين الإشارة إلى موقف كارناب من الفلسفة وكذا تبيان الأسس المنطقية واللَغوية التي بني عليها هذا الموقف ، كما استندنا أحيانا إلى **المنهج التاريخي** في غرض بدايات التفكير الوضعي منذ القديم ، ولأن دراستنا ليست تحليلية فحسب إذ هي نقدية كذلك فإن **المنهج النقدي** كان حاضرا خلال الفصل الثالث لمناقشة أفكار كارناب في هذا الموضوع .

وفي بحثنا عن **الدراسات السابقة** لهذا الموضوع – مع اختلاف زاوية الدراسة – فقد عثرنا على الدراستين الآتيتين :

1- رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية للباحثة اللبنانية وداد الحاج حسن سنة 2000 ، كلية الآداب الجامعة اللبنانية ، وهي بمثابة رسالة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة . وقد تناولت مصير الوضعية المنطقية في محاولتها استبعاد الميتافيزيقا .

2- موقف رودولف كارناب من الميتافيزيقا . للطالب راقع أحمد ، سنة 2007 المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة – الجزائر – وهي بمثابة مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة تخصص فلسفة حديثة ومعاصرة .

و**الاختلاف** بين دراستنا والدراستين المذكورتين هي أن الاولى تم فيها تجاوز الوضعية المنطقية ذاتها ، وبالنسبة للثانية فإننا نطرح تساؤلا حولها هو إذا تم رفض الميتافيزيقا ماذا بقي للفلسفة وهكذا حاولنا تجاوزهما إلى الوقوف عند مدى قدرة كارناب على دحض الفلسفة ، بمعنى أننا حاولنا أن يكون عملنا هذا إضافة إلى للحقل المعرفي المتعلق بالوضعية المنطقية لدى كارناب .

وعن **أهم مصادر** المادة المعرفية فنشير إلى أن المقال الموسوم بـ « حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة » لـ كارناب قد شكل الأساس خاصة في توضيح أسس حذف الميتافيزيقا .

أما عن **الصعوبات** التي صاحبت إنجاز هذا البحث فإنه ومن باب الأمانة العلمية والصدق وجب القول أن عدم التحكم في اللغات الأجنبية كان عائقا في الاعتماد على المصادر بلغتها الأصلية (الألمانية – الإنجليزية) وهذا ما جعلنا نعتمد المصادر المترجمة إلى اللّغة العربية . وما عدا ذلك فلم تكن هناك صعوبات سوى ذات الطابع الاجتماعي (بعد المسافة ، الانشغالات الأسرية والمهنية) خاصة وأن هذه الدراسة تزامنت مع ما تعرفه الجزائر من حراك شعبي مجيد .

تمهيد : إن ما يحيل إليه لفظ الوضعية يكشف مسبقا عن تصور معرفي ينزع نحو العلم رافضا الفلسفة فإن هذا ما يدفعنا إلى تخصيص فصل أول نتناول فيه بالتوضيح أهم مبادئ التصور الذي جاءت به الوضعية المنطقية بعد التعريف بها، لنتساءل فيما بعد عن مواطن التماثل والاختلاف بين رؤية كارناب ورؤية سابقيه من الوضعيين المنطقيين.

المبحث الأول : الوضعية المنطقية والميتافيزيقا

من منطلق أن الوضعية المنطقية هي الاتجاه الفلسفي الذي ينتمي إليه الفيلسوف موضوع دراستنا (رادولف كارناب) فإننا رأينا بضرورة تخصيص مطلب أول لهذا التوجه ولأننا نود كذلك التعرف على موقفه من الفلسفة فقد تجلت لنا أهمية تخصيص المطلب الثاني لحقيقة الميتافيزيقا باعتبارها فلسفة أولى .

المطلب الأول : في الوضعية المنطقية

1- مفهومها : نقدمه في جانبين : أ- جانب أصل التسمية : فاسم الوضعية المنطقية logical positivisme « قد أطلقه (بلومبرغ) و (فايغل) على جملة الأفكار الفلسفية التي اشتهرت بها جماعة فيينا vienna circle »[1] لكن دراسة أشارت إلى أن الفيلسوف النمساوي (هربرت فايجل Herbert Feigll 1902-1988) هو من أطلق هذا الاسم على الأفكار الفلسفية التي نادت بها حلقة فيينا سنة 1931 [2] كما تسمى كذلك بالتجريبية المنطقية logical empiricism [3].

[1] رحيم أبو رغيف الموسوي ، الدليل الفلسفي الشامل ، دار المحجة البيضاء ، ج3،حرف الواو ،ط1 ، 2015 ، ص 662 .

[2] منذر الكوثر ، فلسفة التحليل والبحث عن المعنى ، الوضعية المنطقية عند آيار ، دار الحكمة ، لندن ، إنجلترا ، ط1 ، 2004 ، ص 25 .

[3] زكي نجيب محمود ، نحو فلسفة علمية ، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1980 ، ص 61 .

ب- جانب الاصطلاح : فـ « هذا المصطلح الفلسفي يدل بنحو واسع على اتجاه فلسفي معاصر يعول أساسا على التجربة تحقيقا للدقة والتحليل المنطقي للغة العلماء ولغة الحديث ويعدها المصدر الوحيد للمعرفة » [1]

2- الجذور التاريخية للوضعية المنطقية : تعرف الوضعية المنطقية في ضوء الفلسفة التجريبية الحسية . وقد رأى بعض الدارسين أن نشوء التجريبانية المنطقية " جاء في فضاء فلسفي علمي يمكن اعتباره عصارة قرون من البحث الجاد عن اللَغة العلمية الدقيقة " [2]. معنى ذلك أنه يمكن اكتشافها ضمن التيارات التجريبية الحسية في تاريخ الفلسفة[3]. لكن مع الأخذ بعين الاعتبار الاختلاف بين أصل الشيء وحقيقته ، قال المفكر العربي (زكي نجيب محمود 1905-1993) : « إن هيوم وإن يكن أصلا تفرعت عنه المدرسة التجريبية القائمة بيننا اليوم إلا أن بيننا وبينه ما بين الأصل وفروعه من اتفاق في الأسس واختلاف في تفصيلات الورق والثمار » [4]

إن البحث في الجذور الفكرية لهذا التيار يعود بنا إلى الفلسفة الحديثة حيث أنه اكتسب الطابع الوضعي انطلاقا مما قدمه الفرنسي " أوغست كونت " صاحب مصطلح الوضعية ،أو ما يسمى بـ « الدور الوضعي» [5] أما من جهة الطابع التجريبي فنجدها ذات صلة بما رآه الإنجليزي (دافيد هيوم David Hume 1711-1776) الذي يعتقد « إذا قمنا

---

[1] رحيم أبو رغيف الموسوي ، مرجع سايق ، ص 661-662 .

[2] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، تصدير محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2006 ، ص 214 .

[3] هويدي يحي ، الفلسفة الوضعية في الميزان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د ط ، 1971 ، ص 157 .

[4] أحمد موساوي،مدخل جديد إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،ط1 ، 2018 ، ص 136 .

[5] جعفر حسن الشكرجي ، دراسات في الميتافيزيقا والنفس ، مرجع سابق ، ص 51 .

بزيارة للمكتبات ... وأخذنا كتابا في اللاهوت أو الميتافيزيقا المدرسية على سبيل المثال، دعونا نتساءل ...، هل تحتوي أي تفكير تجريبي يتعلق بالواقع والوجود ؟ كلا » [1]

3- نشأتها ومصير أعضائها :

سنة 1907 اجتمع كل من العالم الرياضي (هانز هان Hans Hahn 1879-1934) عالم الاقتصاد النمساوي (أتو نيراث Otto Neurath 1882-1945) ، والعالم الفيزيائي (فيليب فرانك Philip Frank 1884-1966) ، لمناقشة المسائل التي لها صلة بفلسفة العلم ، ومدى تأسيسها الرياضي المنطقي الفيزيائي دون استبعاد التوجه التجريبي لآرنست ماخ [2] Ernst Mach 1838-1916، الذي نعلم أنه يقوم على مبدأ " العلم في أساسه هو وصف للتجربة " . حيث تتضح نظريته في المعرفة من خلال النقاط الآتية :

1- المعرفة الإنسانية في تطور وصيرورة وتتسع كلما أمدتنا الخبرة بأشياء جديدة .

2- ليست هناك حقائق قبلية أو خالدة فالمعرفة ظاهرة بيولوجية تتقدم بتقدم الإنسان .

3- لا وجود لجواهر ، فالأشياء مركبات ثابتة نسبيا لصفات أو عناصر أو إحساسات[3] من هذا الذي سبق ذكره يظهر لنا أن هذا الاجتماع هو ما شكل حجر الأساس للوضعية المنطقية .

أما البداية الفعلية لحلقة فيينا فكانت سنة 1922 ، إذ كان الفيزيائي الألماني النمساوي (موريس شليك Moritz Schlick 1882-1936) قد شغل منصب أستاذية الفلسفة في جامعة فيينا ، حيث التفت حوله جماعة من رجال التفكير العلمي أبرزهم [4] الفيلسوف الرياضي الفيزيائي النمساوي (فريديريك وايزمان Friedrich Waisman 1896-1959) ،

[1] جعفر حسن الشكرجي ، دراسات في الميتافيزيقا والنفس ، مرجع سابق ، ص 53 .

[2] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 215-216.

[3] ألفرد جولس آير ، الفلسفة في القرن العشرين ، ترجمة بهاء درويش ، نقلا عن : محمد قاسم ، مدخل إلى الفلسفة ، دار النهضة العربية ، 2001 ، ص 188-189 .

[4] زكي نجيب محمود ، المرجع السابق ، ص 61 .

(أتو نيراث) ، (هربرت فايجل) ، (فيكتور كرافت Victor Kraft 1880–1975) ، النمساوي (فيليكس كاوفمان Filix Kaufmann 1895–1949) ، والأمريكي من أصل نمساوي (كورت جودل Kurt Gödel 1906–1978) .

أما بالنسبة لرادولف كارناب فقد أتى سنة 1926 إلى فيينا بصفته أستاذا للفلسفة بجامعتها ، وسرعان ما أصبح عضوا بارزا في مناقشات الحلقة ، حيث أصبح ينظر إليه فيما بعد على أنه المعبر الحقيقي على فلسفتها [1] .

إن الأمر الذي يميز أعضاء حلقة فيينا هو أنه وبالرغم من أن (شليك) كان محور الجماعة باعتباره أستاذ الفلسفة إلى درجة أن هناك من يشير إلى أنه هو من ظهرت على يده الوضعية المنطقية حيث تزعم حلقة فيينا سنة 1929 [2] . إلا أنه لم يكن متميزا عن بقية أعضائها علميا فقد كانوا جميعهم علماء، وبالرغم من اختلاف اهتماماتهم العلمية إلا أن الأساس العلمي للمعرفة كان يجمعهم وهذا ما شكل تقاربا في الرؤى بينهم ، من ذلك نجد أن الدارسين يعتبرون حلقة فيينا " حلقة فلسفية أكثر منها مدرسة فلسفية " [3] .

نفهم من هذا أن المناقشات التي كانت تدور بينهم حول المسائل المعرفية يحكمها الرأي العلمي ، ويشير الدارسون إلى أن هذا التقارب هو ما ساهم في ظهور إنتاج فكري غزير لرجال الحلقة « فقد اجتمعت كلمة فلاسفة الوضعية المنطقية في الكتاب الذي أصدروه عام 1929 تحت عنوان **حلقة فيينا تصورها العلمي للعالم** »[4].

---

[1] الشريف زيتوني ، المرجع السابق ، ص 217

[2] زكريا إبراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، د ط ، د ت ، ص 267 .

[3] زكي نجيب محمود ، نحو فلسفة علمية ، مرجع سابق ، ص 61 .

[4] زكريا إبراهيم ، دراسة الفلسفة المعاصرة ، المرجع السابق ، ص 267 .

وفي سنة 1930 أصدرت الجماعة مجلة فلسفية [1] تعرض أفكار أعضائها ، وتولى الإشراف عليها كارناب و الألماني(هانز رايشنباخ Hans Reichenbach 1891-1953)، بالإضافة إلى أنهم استطاعوا عقد مؤتمر في سبتمبر 1930 موضوعه نظرية المعرفة منظورا إليها من زاوية العلوم المضبوطة ، وقد تعاون معهم عدد كبير من العلماء في الطبيعة والرياضيات جاءوا من جميع أنحاء أوروبا [2].

لقد استمرت اجتماعات رجال الحلقة بشكل منظم ، إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية سنة 1939 ، حيث تشتت أفرادها فذهب (فايجل) ، (كارناب) ، و (رايشنباخ) إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث أسندت إليهم مناصب الأستاذية في أكبر جامعاتها ، أما وايزمان ونوراث فقد توجها إلى إنجلترا وأصبحا قطبين في عالم الدراسة الفلسفية ، دون أن ننسى أن الحلقة فقدت رئيسها " شليك " سنة 1936 الذي قتل برصاصة من قبل طالب بجامعة فيينا [3] .

وبهذا فإن جماعة فيينا لم تبق قائمة في فيينا بعد الهجرة التي قام بها أعضاؤها وبذلك فقد اتسع نطاقها خاصة في الو م أ و إنجلترا .

4- مبادئها :

من خلال التسميات التي اتخذتها والمتمثلة في : الوضيعية المنطقية ، التجريبية المنطقية ، التجريبية العلمية يتجلى لنا أنها تقوم على جملة من المبادئ أهمها :

أ- **الاتجاه التجريبي** : لما يذكر (آير A.J.Ayer 1910-1989) « ولقد تبنى شليك زعيم حلقة فيينا نظرة إلى العلم لم تختلف في جوهرها عن رؤية (ماخ) له ، كما وصل إلى الاعتقاد – متابعا أيضا في ذلك ماخ – أن قضايا الملاحظة الأساسية هي القضايا

[1] زكي نجيب محمود ، نحو فلسفة علمية ، مرجع سابق ، ص 62 .
[2] المرجع نفسه ، ص 62.
[3] مرجع نفسه ، ص 62 .

عن المعطيات الحسية »[1] ، فإننا نكتشف بوضوح الطابع التجريبي لرجال الوضعية المنطقية واستمراره من زعيم إلى آخر ، وما يؤكد ذلك أنه من خلال استعراضنا لنشأة الوضعية المنطقية نجد أن تولي كل من (ماخ) سنة 1885 ، و(شليك) سنة 1922 ، و(كارناب) فيما بعد لكرسي الأستاذية يكشف عن البعد الاستقرائي بل إننا نجده ممتدا في جميع الأطوار الفكرية لهذا التوجه ، مما يعني أن التجربة هي مصدر المعرفة الإنسانية ، وأن الملاحظة للواقعة الحسية تقدم لنا مواد معرفية حسب هذه المدرسة ولهذا فقد سميت بالوضعية بسبب ارتكازها على الخبرة الحسية في مجال الطبيعة .

ب- استخدام المنطق والتحليل اللغوي : لما اعتقد أنصار الوضعية المنطقية أن المعرفة العلمية ترتبط بظواهر الواقع التجريبي ، فإنهم لم يكتفوا بهذا المنطلق فحسب بل تجاوزوا إلى " ضرورة إخضاع لغتنا التي نعبر بها عن الأشياء إلى تحليل منطقي صارم ، وبهذا يصبح موضوع الفلسفة – حسبهم – لا الأشياء بل اللغة التي نعبر بها عنها " [2] .

يعني ذلك أن الفلسفة مع الوضعين المنطقيين تتحول إلى فلسفة شارحة للعلم لا فلسفة للمعرفة ، وقد سميت منطقية « لكونها ترفض ما ترفضه . وتقبل ما تقبله على أساس المنطق وحده أي على أساس تحليل العبارات والألفاظ تحليلا يبين حقيقة بنائها » [3].

إن استخدام التحليل اللغوي في الفهم ربما يعود إلى المناقشات التي كانت بين أعضاء الحلقة وفتجنشتاين [4] ونحن نعلم أن المعنى الأساسي الذي تأخذه اللغة لدى هذا الأخير (Ludwiy Wittgenstein 1889-1951) هو أن اللغة هي الفكر ولا فصل بينهما

---

[1] ألفرد جولس آير ، الفلسفة في القرن العشرين ، ترجمة بهاء درويش ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر ، ط1 ، 2006 ، ص 226 .

[2] ماهر عبد القادر محمد علي ، خرافة الوضعية المنطقية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، د ط ،د ت ، ص 33 .

[3] زكي نجيب محمود ، نحو فلسفة علمية ، مرجع سابق ، ص 51 .

[4] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 217 .

هذا الرأي يتضح جليا في مؤلفه الموسوم بـ "رسالة منطقية فلسفية Tractatus Logico Philosophie" فيقول « إن اللغة هي مجموع القضايا وإن القضايا ليست إلا أفكار في ذهن الإنسان فالفكر هو القضية ذات المعنى كما أن ألفاظ القضية هي فكرة حين نطبقها ونحلل مضمونها »[1] .

وبهذا يرى الباحث أن الوضعيين المنطقيين قد أدركوا أن البحث لابد أن يتجه إلى اللغة إذا م أرادوا تحرير الفلسفة من الميتافيزيقا، وللوصول إلى هذه الغاية وجب عليها «أن نترك للعلم التجريبي البحث عن الظواهر وتقتنع هي بتحليل اللغة العلمية » [2] .ما معنى ذلك ؟ أي ضرورة تحليل عبارات اللغة إلى عبارات بسيطة من السهل أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب وهذا ما أشار إليه قبل ذلك فيتجنشتاين في نظريته اللغوية حيث يصرح « يجب إخراص ما لا يمكن التعبير عنه » [3] أي أنه يريد أن يربط عباراتها بالوقائع، وهذا ما يصل بنا إلى ما يعرف بالقضايا البروتوكولية التي هي قضايا أولية ترتبط بشكل مباشر بالتجربة .

وعليه نقول إن المنطق التحليلي أصبح وسيلة لتبني موقف الرفض اتجاه الميتافيزيقا وهذا « بفضل المنطق الجديد الذي أسسه فريجه وطوره راسل ، بفضل تبصر جديد في طبيعة اللغة اتضح مع فتجنشتاين الذي كان أول من عجل في الوصول إلى نقطة التحول الحاسمة في الفلسفة »[4] ، معنى ذلك ان التحليلية استندت إلى البعد الرياضي (غوتلوب فريجه Gottlob Frege 1848-1925) كما استندت إلى البعد المنطقي (برتراند راسل Beritrand Ressell 1872-1970) .

---

[1] إسلام عزمي ، لودفيغ فتجنشتاين ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، دط ، دت ، ص 153-154

[2] محمد ثابت الفندي ، مع الفيلسوف ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ،دط، 1987 ، ص 271 .

[3] المرجع نفسه ، ص 264 .

[4] وداد الحاج حسن، ردولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ، المغرب ، د ط ، 2001 ، ص 13 .

ما يفهم من هذا هو أن اللغة لدى الوضعيين المنطقيين لم تعد أداة للبحث والمعرفة بقدر ما أصبحت موضوعا للتحليل، فهذا الأخير يأخذ حيزا لا يستهان به في فلسفتهم ، كما أصبحت اللغة موضوع كشف عن أسسها المنطقية بدليل أن " معظم أعضاء مدرسة الوضعية المنطقية يطابقون بين الفلسفة والتحليل ، وخاصة تحليل اللغة العلمية »[1]، مع الاشارة الى التمايز الموجود بين الوضعية المنطقية (مور)، والفلسفة التحليلية عامة .

ج- اللغة كأداة لتحديد المعنى : لقد انتبه الباحث إلى أن فلسفة الوضعية المنطقية تقوم على عدم القدرة على الفصل بين هذا المبدأ والمبدأ الذي يسبقه ، معنى ذلك أن مبدأ استخدام المنطق والتحليل اللغوي هو ما جعل الوضعية المنطقية تميز بين نوعين من القضايا « قضايا تركيبية وهي القضايا التجريبية المتمثلة في قضايا العلوم الطبيعية والعبارات الواقعية للحياة اليومية وقضايا تكرارية وهي التي تتمثل بصورتها النموذجية في العلوم الدقيقة مثل الرياضيات » [2] .

ويرجع الدارسون هذا التمييز بين نوعي القضايا إلى الجذور التجريبية للوضعية المنطقية وبالضبط حين ربطها بتصور دافيد هيوم الإنجليزي الذي أكد أن « قضايا العلم هي إما تحليلية مثل قضايا المنطق والرياضيات،أو تركيبية مثل قضايا العلم التجريبي » [3] وقد أطلق هيوم عن " الأولى علاقات الأفكار وعن الثانية حقائق الواقع " [4].

وحين العودة إلى الألماني (جولفريد فلهلم ليبنتزJ.W.Leibinz 1646-1716) نجد الحقائق لديه قسمين [5] حقائق العقل وحقائق الواقع ، فالأولى ضرورة والثانية احتمالية ،

---

[1] منذر الكوثر ، فلسفة التحليل والبحث عن المعنى الوضعية المنطقية عند آيار ، مرجع سابق ، ص 65 .

[2] المرجع نفسه ، ص 33 .

[3] ياسين خليل ، *مقدمة في الفلسفة المعاصرة* ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 2012 ، ص 218

[4] منذر الكوثر ، المرجع نفسه ، ص 33

[5] المرجع نفسه ، ص33 .

وبناء على ذلك فإن ليبنتز يميز بنفس الطريقة بين نوعين من القضايا قضايا تحليلية وقضايا تركيبية .

أما بالنسبة لـ (هربرت فايجل) فإننا نجده في فلسفته يصنف الجمل أو العبارات إلى خمسة أنواع :

1- الجمل الصحيحة منطقيا والتي تسمى جملا تحليلية .

2- الجمل الخاطئة منطقيا والتي تسمى جملا متناقضة .

3- الجمل الصحيحة واقعيا .

4- الجمل الخاطئة واقعيا .

5- العبارات أو الجمل العاطفية التي لا تشتمل على معنى إدراكي ، وكذلك العبارات التي كانت ستكون إدراكية لولا ورود مقومات عاطفية فيها ،وينتمي إلى هذه الطائفة التعبيرات التصويرية والمجازية وعبارات التعجب وصيحات ردود الأفعال المباشرة وألفاظ الثناء والملامة والضراعة ، والإيحاء والرجاء و الأمر والاستفهام [1] .

وهذا ما يجعلنا نحن – بنوع من التحليل – ننتبه إلى أن صحة وخطأ القضايا وفق رؤية فايجل يرتبط ببعدين أحدهما منطقي في النوعين الأول والثاني والآخر تجريبي في النوعين (الثالث والرابع) . وهذا دليل آخر على النزعة المنطقية التجريبية لهذا التوجه الفكري المعاصر .

وعند المرور إلى (نيوراث) نجده بدوره قد خصص جانبا لا يستهان به للقضايا ، فقد أكد على « عدم إمكانية مقارنة القضية إلا بقضية أخرى وأن الذي يدعم قضية معينة ويؤيدها لا يمكن أن يكون سوى أو قضية أو عبارة بروتوكولية، أي قضية أولية. وهذه

[1] منذر الكوثر ، فلسفة التحليل والبحث عن المعنى الوضعية المنطقية عند آيار ، مرجع سابق ، ص 34.

القضايا البروتوكولية تقع في نفس مستوى قضايا التجربة العادية وبذلك فهي غير ضرورية »[1]ويريد من غير ضرورية هنا أنها ليست تكرارية كقضايا المنطق والرياضيات . وهذا ما يعكس التشابه أو التقارب الفكري بين فايغل ونيوراث حول تصورهما للقضايا وأقسامها . مع إشارتنا إلى أن لنيوراث دورا في تحديد أركان القضية البروتوكولية التي هي (الشخص الملاحظ، والمكان، والموضوع الذي تشير إليه القضية، و الزمان)[2] .

إن الوضعية المنطقية باعتبارها فلسفة تحليلية قد اهتمت باللغة كأداة للتمييز بين العبارات ذات المعنى والعبارات خالية المعنى ونقصد بالخلو من المعنى عدم وجود مقابل حسي لها أي عدم مطابقتها للوجود الواقعي . وهكذا فاللغة هي وسيلة لضبط صدق العبارة أو كذبها . إذ « تريد الفلسفة التحليلية المعاصرة أن تتناول اللغة من ناحية كونها أداة علمية ، وليكن لها بعد ذلك من سائر النواحي ما شاء لها الناس »[3] ، وهذا ما أشار إليه الباحث سابقا في أن الوضعية المنطقية تريد أن تجعل من المساءل العلمية المضمون الوحيد لقضاياها ،وعليه توجد « قضايا ميتافيزيقية يجب استبعادها وإقصاؤها باعتبارها خالية من المعنى وزائفة مثل القضايا التي تدل على مبدأ ، أصل ، مطلق ، اللاوجود »[4] وبالفعل الواقع التجريبي نجده خاليا من أي مماثلة أو مطابقة لهذه التعبيرات ، فهي من دون مدلول تجريبي .

عند الوصول إلى الحديث عن (موريس شليك) فإننا نجده في كتابه " نظرية عامة في المعرفة قد اتخذ « وجهة نظر أكثر واقعية حين أصر على ضرورة أن يكون من الممكن التحقق من كل قضية أو نظرية علمية بمعنى أن يكون هناك دائما تناظرا بين نتائجها

[1] منذر الكوثر ، فلسفة التحليل والبحث عن المعنى الوضعية المنطقية عند آيار ، مرجع سابق ، ص 44 .

[2] المرجع نفسه ، ص 45 .

[3] زكي نجيب محمود ، نحو فلسفة علمية ، مرجع سابق ، ص 66 .

[4] بوشعيب فحصي ،قضايا الصدق والمعنى عند الوضعية المنطقية ، الينبوع ، مجلة فصلية ثقافية فكرية ، العدد الأول ، ربيع 2011 ، الجزائر ، ص 70 .

والوقائع القابلة للملاحظة التي يمكن أن تمثل الموضوعات الفيزيقية مكوناتها». [1]وهذا ما يجعلنا نحكم بتأصيل وتجذر النزعة التجريبية بل نحكم كذلك بإمكانية امتدادها وبقائها في فكر كل من ينظم إلى الحلقة فيما بعد وما يهمنا أكثر هو مدى امتداد هذه النزعة فيما بعد لدى فلسفة كارناب .

5- توحيد العلوم :

لما نعلم أن (أوتو نيراث)« لم ينشر في حياته سوى كتابا واحدا الذي جاء تحت عنوان علم الاجتماع التجريبي والذي ظهر عام 1931 »[2] فإن هذا يعني لنا أن الخاصية الوضعية لم تكن لدى عضو واحد من أعضاء الحلقة وهنا نقصد زعيمها شليك بل وجدت كذلك لدى النمساوي أوتو نيراث . فهذا الأخير من خلال مؤلفه سابق الذكر يكشف عن نزعته الاستقرائية كما يكشف قبل ذلك عن نزعته العلمية ، وكلما ازدادت التصورات المؤيدة للطابع العلمي كلما اشتدت النزعة الوضعية وضوحا وحضورا في الفكر .

معنى ذلك أن هناك رغبة مشتركة بين الأعضاء لتأكيد النزعة العلمية في فهم العالم . ومن وسائل تحقيق هذه الرغبة « توحيد اللغة التي ندرس بها كل العلوم وذلك بدراسة خصائصها البنائية والدلالية والوظيفية »[3] .

إن ضرورة مقابلة القضايا بالأشياء الحسية – كمبدأ سبق ذكره عند الوضعيين المنطقيين– يعني إرجاع كل الظواهر إلى التفسير المادي ، ولأن أقرب علم لدراسة الظواهر دراسة علمية موضوعية هو علم الفيزياء فإن هذا الأمر هو ما يشكل ميلا نحو إرجاع كل العلوم إلى علم الفيزياء . ونعتقد أن تفسيرنا لتصورهم سليم خاصة لما يذكر أحد الدارسين « فإن هذا يعني إمكانية تعبير لغة الفيزياء عن الحياة النفسية والعقلية ، أي

---

[1] ألفريد جولس آير ، الفلسفة في القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص 226 .

[2] المرجع نفسه ، ص 228 .

[3] منذر الكوثر ، فلسفة التحليل والبحث عن المعنى الوضعية المنطقية عند آيار ، مرجع سابق ، ص 43 .

التعبير عن هذه الأخيرة كعمليات بيولوجية تحدث في مكان وزمان ومن ثم بيان إمكانية رد علم النفس إلى علم الفيزياء للتدليل على وحدة العلم »[1] .

هذا ما يعني أن تفسير جميع الظواهر وفهمها فهما موضوعيا سيكون متيسرا ، حتى في مجال العلوم الإنسانية على اعتبار أن الحادثة النفسية هي أكثر ما يعبر عن الجانب الإنساني وهكذا فإن التوصل إلى " العلم الواحد " وفق المقاربة الفيزيائية أضحى سمة بارزة لدى زعيم الوضعيين المنطقيين (شليك).

المطلب الثاني : في الميتافيزيقا باعتبارها فلسفة أولى

تحتل الميتافيزيقا مكانة هامة في بحثنا هذا وذلك أنها الجانب المتأثر بموقف الفلاسفة الوضعيين، ولهذا رأينا أن نخصص مطلبا خاصا نحاول أن نستعرض فيه حقيقة أو ماهية الميتافيزيقا ، مواضيعها ، إلى أن نصل أخيرا إلى موقف الوضعية المنطقية منها .

1- مفهوم الميتافيزيقا : نقدمه من جانبين أحدهما لغوي والآخر اصطلاحي حيث :

أ/ **التعريف اللغوي :** ورد في " موسوعة الفلسفة " لعبد الرحمان بدوي أن كلمة "ميتافيزيقا" Métaphysique (F) Métaphysics (E) "هي تعريب للكلمة اليونانية (تامتاتا فوسيكا) ومعناها ما بعد الطبيعة" [2].

والأصل في هذا الاسم يرجع إلى ترتيب كتب أرسطو لما نشرها أندرو تيقوس الرودسي (في القرن الأول قبل الميلاد) فجعل موضع كتب أرسطو المتعلق بالفلسفة الأولى تاليا لموضع كتاب « الطبيعة » وعلى ذلك فإن « ما بعد الطبيعة » تعني فقط الكتاب التالي في الترتيب لكتاب « الطبيعة »[3] .

---

[1] ألفريد جولس آير ، الفلسفة في القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص 229 .

[2] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 1984 ، ص 493 .

[3] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 493 .

أما في " المعجم الفلسفي لابراهيم مدكور " فيذكر ميتافيزيقا Métaphysique (F) Métaphysics (E) في جانبين : 1/ اسم كتاب لأرسطو يجيء في ترتيبه بعد كتاب الطبيعة . وقد أطلق عليه هذا الاسم مشائي من رجال القرن الأخير قبل الميلاد ، وهو "اندرو نيقوس الرودسي " الذي جمع كتب ارسطو . 2/ أحد أقسام الفلسفة ، وقد اختلف مدلوله باختلاف العصور تبعا لقصره على مشكلة الوجود أو المعرفة . [1]

وفي " معجم الفلسفة للدكتور الجزائري محمود يعقوبي (مواليد 1935) " يذكرها باسم " ميتافيزياء " ويعرفها لغة بأنها كلمة يونانية مركبة من (ميتا) بمعنى مابعد، ومن (فيزياء) بمعنى الطبيعة . وأشار بها شراح أرسطو إلى جزء من آثاره وجدوه مرتبا بعد الفيزياء ويبدو أن أول استعمال لعبارة " ما بعد الطبيعة " باللسان العربي في كلمة واحدة للإشارة إلى فرع من الحكمة إنما كان من الفارابي [2].

ب/ التعريف الاصطلاحي : إن معرفة المفهوم الاصطلاحي للميتافيزيقا يتطلب منا تتبع معناها عبر التطور التاريخي ، حيث أننا نجدها لدى (أرسطو Aristote 384-322 ق. م) تعني الفلسفة الأولى أو الإلهيات [3] ، أما بالنسبة للمشتغلين بالفلسفة من بعده خاصة (الاسكندر الأفروديسي Andronicus 285-204 ق.م) فقد فسروها تفسيرا يجعل من موضوع الكتاب " البحث في الوجود بما هو موجود " وأصبح يطلق اسم الميتافيزيقا على البحث في الأمور التي تتجاوز ما بعد الطبيعة [4] .

---

[1] ابراهيم مدكور ، المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، مصر ، دط ، 1983 ، ص 197.

[2] محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، أهم المصطلحات وأشهر الأعلام ، دار الميزان ، الجزائر ، ط2 ، 1998 ،ص 156 .

[3] عبد الرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، مرجع سابق ، ص 493 .

[4] المرجع نفسه ، ص 493 .

وقد انتهى الدارسون إلى تقديم مفهوم مضبوط يجعل من الميتافيزيقا « هي العلم بمبادئ الوجود وطبيعته من حيث هو وجود ، وبمبادئ المعرفة وطبيعتها من حيث هي معرفة »[1]

كما نجد الباحث إبراهيم مدكور يذكر تطور دلالات الميتافيزيقا وفق المنحى التالي :[2]

أ- **عند أرسطو والمدرسيين** : هو علم المبادئ العامة والعلل الأولى ويسمى الفلسفة الأولى أو العلم الإلهي .

ب- **عند ديكارت René Descartes 1596-1650** : هي معرفة الله والنفس

ج- **عند كانط Immanual Kant 1724-1804** : هي مجموعة المعارف التي تتجاوز نطاق التجربة وتستمد من العقل وحده .

د- **عند كونت** : معرفة بين اللاهوت والعلم الوضعي ، تحاول الكشف عن حقيقة الأشياء وأصلها ومصيرها .

هـ- عند برغسون Henri Bergson 1859-1941: هي معرفة مطلقة نحصل عليها بالحدس المباشر .

غير أن هناك من يقدم تصورا خاصا لمفهوم الميتافيزيقا حيث لما بعد الطبيعة عند أرسطو معنيان [3] . معنى خاص يدل على الجواهر المفارقة وهو ما ينبغي تسميته بالإلهيات، ومعنى عام يجعل من هذا العلم يبحث في خصائص الوجود بما هو موجود وهذا الذي يسمى بعلم الوجود .

وعليه نستنتج من كل هذه التعريفات أن الميتافيزيقا هي كل ما يتعلق بحقائق الأمور وبمبادئها وعللها القصوى متجاوزة بذلك كل المظاهر الحسية . وبهذا نكون قد أحطنا

[1] محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، أهم المصطلحات وأشهر الأعلام ، مرجع سابق، ص 156 .

[2] إبراهيم مدكور ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 197-198 .

[3] ماجد فخري ، أرسطو طاليس المعلم الأول ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، دت ، ص77.

بموضوع الميتافيزيقا أو بما تتناوله الميتافيزيقا من خلال تطور مدلولها التاريخي من فلسفة إلى أخرى أو من فيلسوف إلى آخر .

2- الميتافيزيقا واللغة :

إذا كانت الميتافيزيقا موضوعا للعلل الأولى للوجود وللمعرفة وهما مبحثان أساسيان للفلسفة – كما قد أشرنا سابقا– فإنها عبرت عن مسائلها باللغة العادية ، هذا الارتباط أدى إلى وجود ما يسمى بـ " اللغة الميتافيزيقية " وهكذا فإن هذه الأخيرة ما هي سوى تعبير عن أفكار بعيدة عن الواقع التجريبي .

بناءا على هذا التقديم نقول أنه إذا كانت النزعة التجريبية ترى في الميتافيزيقا عائقا أمام تقدم الفلسفة ، فإنها تسقط هذه الرؤية على العبارات الدالة على المسائل الميتافيزيقية كذلك . بمعنى أن اللغة الميتافيزيقية هي عائق أما التعبير عن حقيقة المعاني وفق التصور الوضعي ، وقد جاءت رؤيتنا وتحليلنا بعد أن « اكتشف كبار المناطقة والفلاسفة المعاصرون وجود جمل تتشابه في صورتها اللغوية ... ، لكنها تختلف في صورتها المنطقية ، وأدى هذا التشابه في تركيب الجمل إلى الوقوع في أخطاء فلسفية ، ذلك لأن العبارات اللغوية التي صيغ فيها كثير من النظريات جعلت البعض يظنون أن التركيب النحوي يعبر عن تشابه مماثل في تركيب الواقع الموجود »[1]

3- موقف الوضعيين الأوائل من الميتافيزيقا :

لقد رأينا من باب التأسيس الفكري والمعرفي أن نستعرض تاريخية هذا الموقف منذ القديم – ولو بشكل موجز – وأن نفي موقف الوضعيين المنطقيين حقه في العرض والتحليل . وعموما نقول أنه إذا كان من المتعارف عليه أن الفلسفة ترتبط ارتباطا وثيقا

[1] زيدان محمود فهمي، في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1975 ، ص 21.

بالميتافيزيقا ، فإن الموقف الذي أردنا تسليط الضوء عليه هو الموقف الرافض لهذا المبحث من المعرفة .

إن التتبع التاريخي لهذه المسألة يفرض علينا الانطـــلاق من التـوجه السوفسطـائي Sophiste (القرن الخامس قبل الميلاد) الذي وفق (بروتاغوراس Protagoras 480– 411 ق.م) وهو أحد أبرز أعلام هذا الفكر حمل شعار « الإنسان هو معيار كل الأشياء، معيار ما هو موجود فيكون موجودا،ومعيار ما ليس بموجود فلا يكون موجودا »[1] وهذا ما يعني رفضهم لكل معتقد سواء كان فكريا أو دينيا ، وما يؤكد ذلك هو قول (هيبياس Hippias 443.399 ق. م) – وهو أحد زعماء السوفسطائية – « إن القانون (nômos) يسحق البشر ويلزمهم على القبول بأمـور كثيرة تخـالف طبيـعتهم »[2] .

إن هذا الرفض وجد كذلك لدى أنصار التيار الشكي الذي انتشر في القرون الأربعة قبل الميلاد مباشرة ، حيث يرى فيرون أن في نزعة الشك أي إنكار المعرفة طريق إلى السعادة والهروب من كوارث الحياة .[3] ومن أهم ممثلي هذا التيار بيرون أو فيرون (Viron 360–270 ق.م) .

وهنا يمكننا أن ندرك أن إنكار المعرفة لدى الشكيين تضمن بدوره إنكار الميتافيزيقا أما في الفكر الحديث فإن رفض الميتافيزيقا قد قوي ، حيث أن هذه النزعة أصبحت جلية وحاضرة بقوة في أبحاث الإنجليزي (دافيد هيوم) فقد رفض الميتافيزيقا من باب رفضه للأخلاق بعد أن ربط بينهما في قوله «العلوم الأخلاقية أو الميتافيزيقية يدل على أن صفتي الأخلاقية والميتافيزيقية تشيران إلى مسمى واحد »[4] ؛ يحدد المشكل الأساسي في

---

[1] فيصل عباس ، موسوعة الفلاسفة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996 ، ص 27 .

[2] بيتر كونزمان وآخران ، أطلس الفلاسفة ، ترجمة جورج كتورة ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ،2007 ، ص 35 .

[3] فيصل عباس ، موسوعة الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 42 .

[4] محمد عثمان الخشت ، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم ، دار قباء ، القاهرة ، مصر ، د ط ، 1997 ، ص 58 .

تقدم فهمنا للأخلاق فيذكر « تتمثل العقبة الرئيسية التي تقف أمام تقدمنا في العلوم الأخلاقية أو الميتافيزيقية في غموض الأفكار والتباس معاني المصطلحات »[1] ليصل أخيرا إلى المناداة بإبعاد المسائل الأخلاقية عن مجال المعرفة « إذا كانت الفلسفة الأخلاقية قد تلكأت في تقدمها عن العلوم الرياضية والطبيعية . فذلك معناه أننا يجب أن ننفق مجهودا أكبر وعناية أكثر لإزالة ما يعوقها من تقدمات »[2] .

إن ما يظهر قوة موقف هيوم هو انعكاسه وتأثيره على التفكير العربي المعاصر فهاهو زكي نجيب محمود (1905- 1993) يصرح قائلا« فقد جاء هيوم بمثابة الضربة القاتلة الأولى للتفكير الميتافيزيقي » [3] كما يذكر « سأقول ماذا نصنع بهذه الأكداس من الفلسفة ؟ سأجيب بما أجاب به هيوم من غير هيبة ولا وجل ألقوا يها في النار » وهكذا فقد أصبح البحث الفلسفي ترفا فكريا لا طائل منه إلى جانب كل ما ذكرناه لا يمكن أن نتجاهل قيمة الميتافيزيقا لدى الفرنسي " أوغست كونت " كيف لا ؟ وهو من يعرف بممثل النزعة الوضعية في الفكر الحديث إذ بمجرد أن نذكر الوضعية لابد أن نذكر كونت .

حيث أن هذا الأخير يعتقد أن الفكر البشري في تفسيره للظواهر مر تاريخيا بثلاثة أنماط من التفسير ، تفسير لاهوتي ، تفسير ميتافيزيقي ، ليصل أخيرا إلى التفسير العلمي وقد استقر عنده في تبريره للأحداث والوقائع . يقول كونت « كلما تقدم الإنسان في الدراسة الوضعية للظواهر ترك بالتدرج التفسيرات اللاهوتية والميتافيزيقية »[4] .

ما يتضح لنا الآن أن المرحلة الوضعية لدى كونت هي مرحلة علمية بامتياز ، وهذا ما جعل العديد من المفكرين يثمنون هذا التوجه ، فقد صرح المفكر العربي المعاصر محمد عابد الجابري (1936 – 2010)« لقد كان أوغست كونت واثقا في العلم وفي قدرته

[1] محمد عثمان الخشت ، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم ، ، ص 58 .
[2] المرجع نفسه ، ص 59 .
[3] زكي نجيب محمود ، نحو فلسفة علمية ، مرجع سابق ، ص 31 .
[4] جعفر حسن الشكرجي ، دراسات في الميتافيزيقا والنفس ، مرجع سابق ، ص 52 .

على حل جميع المشاكل حتى الاجتماعية منها ، كيف لا وهو الذي جعل المرحلة الوضعية (العلمية) أرقى مراحل تطور الفكر البشري»[1] .

إنه وبعد تراكم التصورات المتعاقبة تاريخيا والتي تهدف جميعها إلى تبني التوجه الوضعي ظهر توجه فكري معاصر يعرف بـ الاتجاه التحليلي المنطقي في اللغة من خلال ما قدمته الفلسفة التحليلية وفق روادها مور ، فريجه ، راسل ، وفتجنشتاين ، هذا ما عده البعض سببا مباشرا في نشأة فرع * متميز قيل عنه «وقد كان من نتائج هذه الفلسفة التجريبانية التي تتخذ من المنطق الرياضي أداة للتحليل : الاهتمام بعالم الخبرة وعالم الظواهر والاتصال بالواقع وبجزئياته ، ومن ثم رفض الاتجاهات الفلسفية المثالية الخالصة »[2]

نفهم من هذا أن مهمة الفلسفة مع الوضعية المنطقية لم تعد مرتبطة بالطابع الكلاسيكي المتمثل في رفض " التفكير الميتافيزيقي ، الأخلاقي ، والديني من باب أنه موضوع " مثلما كان الأمر مع الوضعية التجريبية بل تجاوزت ذلك إلى اعتماد فلسفة لغوية تحليلية قائمة على البحث في البناء المنطقي السليم للعبارات وهذا ما يؤكده أحد الدارسين بقوله «نستطيع أن نفهم مما ذكرنا سابقا حول المهمة الجديدة للفلسفة التي تتمثل في التحليل المنطقي للعبارات العلمية ، أن البحث عن اليقين المعرفي أصبح في ما تحمله اللغة من معاني ، وليس في ما يمكن أن يتصوره العقل »[3] .

---

[1] ماهر عبد القادر محمد علي ، خرافة الوضعية المنطقية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1993 ، ص 31 .

* نقصد بالفرع الوضعية المنطقية .

[2] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 211 .

[3] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 228 .

وإن هذا التحول في حقيقة الفلسفة بين الوضعيين المنطقيين وسابقيهم تثبته الدراسات المختلفة « إن التجريبانية المنطقية أرادت أن تفض ذلك الصراع التقليدي (العقل ، الطبيعة) عن طريق نقل مجال المعرفة إلى نطاق اللغة »[1]

إن تحليلنا هذا يكشف على أنه وفق تصور الوضعية المنطقية إذا كان التحليل المنطقي منهجا فإن حذف الميتافيزيقا يصبح هدفا فعن المنهج نجد أن أعضاءها قد تأثروا بمناقشتهم مع الفيلسوف النمساوي فتجنشتاين الذي يقول « إن اللغة هي مجموع القضايا ، وإن القضايا ليست إلا أفكار في ذهن الإنسان ، فالفكر هو القضية ذات المعنى كما أن ألفاظ القضية هي فكرة حين نطبقها ونحلل مضمونها »[2] .

وعن هذا الهدف نجد أن الوضعية المنطقية في موقفها الرافض للميتافيزيقا ما هي إلا امتداد لحلقة فيينا ، فهي الوريث المباشر لها ، حيث أن هذه الأخيرة «اتخذت في رفضها للميتافيزيقا التقليدية من التحليل المنطقي للألفاظ والعبارات أساسا فاعتبرت القضايا الميتافيزيقية فارقة لا معنى لها لأنها تتحدث عن لاشيء»[3] .

وهكذا فإننا في نهاية هذا المبحث نهتدي إلى أن الميتافيزيقا وفق رؤية الوضعية المنطقية مرفوضة رفضا نهائيا ، وهي سبب تخلف الفلسفة مقارنة بما يشهده العلم .

[1] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، ص 229 .

[2] إسلام عزمي ، لودفيغ فتجنشتاين ، مرجع سابق ، ص 153-154 .

[3] ياسين خليل ، مقدمة في الفلسفة المعاصرة ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 2012 ، ص 219.

المبحث الثاني : رادولف كارناب

أردنا في هذا المبحث أن نتناول التعريف بكارناب ، حياته ، مؤلفاته ، كما نكشف عن المؤثرات الفلسفية التي كان لها الأثر على فكره .

المطلب الأول : التعريف بكارناب حياته ومؤلفاته

1- حياته :

تحت عنوان [كارناب (1891-1970)] يقدمه فيصل عباس في موسوعة الفلاسفة بقوله «ولد رودولف كارناب في ألمانيا ، درس الفلسفة في جامعة فيينا ثم الجامعة الألمانية ببراغ ، لكنه رحل عن أوروبا سنة 1936 إلى الولايات المتحدة ، وهناك صارا أستاذا للفلسفة بجامعة شيكاغو وبجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس منذ عام 1954 . وهو يعد الأستاذ الأكبر للوضعية المنطقية »[1]، أما عن مراحل تعلمه فيذكرها وداد الحاج حسن في قوله « ولد كارناب في العام 1891 في رونسدورف قرب بارمن في شمال غرب ألمانيا عاش في وسط عائلة متدينة تلقى تعليمه الابتدائي في المنزل على يد والدته ، ثم بعد وفاة والده في العام 1898 انتقل إلى بارمن حيث تعلم في مدرسة ثانوية تعتمد مقرراتها الأساسية على اللغات القديمة . كان متفوقا شغوفا بتعلم الرياضيات لدقتها ولقيامها على التفكير المحض »[2] .

و «في العام 1909 انتقل إلى بينا jena وبين عامي 1910-1914 درس في جامعتي بينا وفرايبورغ حيث اختص بالفيزياء والفلسفة »[3]

[1] فيصل عباس، موسوعة الفلاسفة ، دار الفكر العربي، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1995 ، ص 242 .

[2] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب ، نهاية الوضعية المنطقية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، د ط ، 2001 ، ص 279 .

[3] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب ، نهاية الوضعية المنطقية ، ص 279 .

2- سيرته التعليمية :

بعد استقرائنا للسيرة الذاتية لكارناب وفي بحثنا في إنتاجه الفكري وقفنا على أن كارناب غزير الإنتاج في مجال المعرفة ، وفلسفة العلوم سواء تعلق الأمر بالمنطق الرياضي أو الاستقرائي.

وفي مجال التدريس نجد أن كارناب بعد ما عين أستاذا بجامعة فيينا قد قام بالتدريس في جامعتها في الفترة ما بين 1926-1931 م . ولما تشتت جماعة فيينا – كما وسبق وأن أشرنا – قام كارناب بالتدريس في جامعات براغ من 1931 إلى 1935 وجامعة شيكاغو من 1948إلى 1954 وجامعة لوس أنجلس بعد 1954 .[1]

3- مؤلفات كارناب :

من أشهر مؤلفات[2] كارناب :

أ/ كتب ألفها باللغة الألمانية وترجمت فيما بعد إلى اللغة الإنجليزية :

- البناء المنطقي للعالم سنة 1928 The logical construction of the world.
- مشكلات فلسفية زائفة سنة 1928 Pseudo problems in philosophy.
- موجز المنطق الرياضي سنة 1929 .
- وحدة العلم سنة 1932 The unity of science .
- البناء المنطقي للغة سنة 1934 The logical syntax of language.

ب/ كتب مؤلفة بلغة الإنجليزية مباشرة :

- الفلسفة والبناء المنطقي سنة 1935 Philosophy and logical syntax.

[1] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت ، لبنان، ط1 ، 1993 ، ص 89 .
[2] المرجع نفسه ، ص 89 .

- أسس المنطق والرياضة سنة 1939 Foundation of logical and mathematic .

- مدخل إلى علم المعاني سنة 1942 Introuduction of semantics .

- المعنى والضرورة سنة 1947 Meaning and necessity.

- الأسس المنطقية للاحتمال سنة 1950 logical foundation of probability.

- متصل المناهج الاستقرائية سنة 1952 .

- الأسس الفلسفية للفيزياء سنة 1966 * Foundation philosophic of physic.

من خلال استعراضنا للمؤلفات نكتشف أن النزعة المعرفية لكارناب هي نزعة منطقية رياضية تجريبية في آن .

المطلب الثاني : المؤثرات العلمية والفلسفية في فكر كارناب

1- تأثير فريجه وراسل :

يذكر كارناب في كتابه " البناء المنطقي للعالم " عن تأثره بفريجه وراسل فيقول « توصلت بتأثير غوتليب فريجه الذي درست على يده في بينا ... ، ومن خلال دراسة أعمال برتراند راسل ... تمثل هذه الرؤى أساسا لكتابي ، وهي الرؤى التي تطورت فيما بعد من خلال النقاشات ضمن حلقة فيينا لشليك وتحت تأثير فتجنشتاين إلى نمط التفكير الموسوم بـ (حلقة فيينا) . أحيانا يسمى هذا التوجه بـ (التجريبية المنطقية) أو (الوضعية المنطقية) للإشارة إلى المكونين معا»[1]

وفي تحليلنا لهذا القول – الذي سبق– ننتبه إلى أن كارناب قد تأثر بالنزعة الرياضية لفريجه ، وبالنزعة المنطقية لراسل ، وما يدعم رؤية الباحث هذه هو أن الدراسات تشير

[1] رادولف كارناب ، البناء المنطقي للعالم والمسائل الزائفة في الفلسفة ، ترجمة يوسف تيبس ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2011 ، ص 14 .

* هذا المؤلف لم يذكره فؤاد كامل . ونذكره نحن لعثورنا عليه . وهو عبارة عن حصيلة محاضرات كان كارناب قد ألقاها ابتداء من سنة 1946 بجامعة شيكاغو .

إلى أن " ما توصل إليه كارناب " لم يكن من الفلسفة المحضة ولا من الرياضيات المحضة بل من محاضرات فريجه التي تقع على الحدود ما بين هذين الحقلين ، أي في مجال المنطق الرمزي وأسس الرياضيات .[1]

هذا ما يعني تشبع (كارناب) بالبعد الرياضي المنطقي في دراساته المختلفة لفلسفة اللغة وهذا ما جعله يتأثر بالنزعة التحليلية في اللغة ، على اعتبار أن (فريجه) «المؤسس للمدرسة المنطقية المعاصرة وله الفضل في تطوير الطريقة التحليلية في المنطق واللغة ، وهي الطريقة التي أصبحت في الفلسفة المعاصرة الأسلوب العلمي للبحث الفلسفي »[2]

لقد كان (كارناب) سنة 1910 متابعا لمحاضرات فريجه بعنوان " مدونات مفهومية " حيث أنهى (فريجه) هذه الأخيرة بالإشارة إلى أن المنطق الجديد الذي يقدمه سيساعد على بناء كل الرياضيات ، وهذا ما دفع كارناب إلى متابعة الجزء الثاني من محاضرات فريجه[3]

إن ما يظهر شغف كارناب بالأسس المنطقية في التفكير قراءته للعديد من المؤلفات المنطقية والفلسفية فقد أظهر إعجابا شديدا – على وجه الخصوص – لكتاب " المبادئ الرياضية " لوايتهد وراسل سنة 1910 إلى غاية 1913 .[4]

وقد واصل علـى نفس النمط من التفكير ، حيـث أنـه " خلال شتاء 1921 قـرأ كتـاب «معرفتنا بالعالم الخارجي كحقل للمنهج العلمي في الفلسفة » وفيه طرح راسل فكرة المنهج التحليلي المنطقي في الفلسفة مشيرا إلى أن عمل فريجه يعد المثال الأول الكامل لهذا المنهج " [5]

---

[1] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 279 .

[2] ياسين خليل ، مقدمة في الفلسفة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 279 .

[3] وداد الحاج حسن ، المرجع السابق ، ص 280 .

[4] زكريا إبراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 268 .

[5] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 283 .

إضافة إلى ما سبق ذكره نقر بأن النسق المعرفي لدى كارناب ذو ازدواجية منطقية رياضية لماذا ؟ لأننا ندرك يقينا أن راسل يعتقد بالعلاقة الاتصالية بين الرياضيات والمنطق حيث يذكر هذا الأخير « إن المنطق شباب الرياضيات ، وإن الرياضيات تمثل طور الرجولة بالنسبة للمنطق»[1].

2- التأثيرات السياسية والاقتصادية والدينية في مقابل ميولاته الفيزيائية :

لقد كان للظروف السياسية تأثير على الحياة العلمية لكارناب ، إذ لمَا شرع في بحث تجريبي في الفيزياء ليقدمه كأطروحة دكتوراه لكن هذا المشروع كتب له التوقف بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى التي اغتيل فيها الأستاذ المشرف على العمل في أيامها الأولى [2]. وقد شارك كارناب في هذه الحرب كضابط في الجيش، وفي صيف 1917 عمل فيزيائيا في مؤسسة عسكرية كانت تعمل على تطوير التلغراف والتليفون اللاسلكيين [3] .

لقد كانت لكارناب رؤية في الحياة الاقتصادية من خلال معايشته لحركة العمال الاشتراكيين حول إعطائها تبريرا علميا وفلسفيا وهذا ما جعله يرحب بثورتهم [4] إلا أن الميل إلى العلم الفيزيائي كان أقوى وذلك بسبب وضوح قوانينه التي تقدم ربطا منطقيا بين الوقائع الفيزيائية على مستوى المادة الجامدة .

أما في ما يتعلق بالجانب الديني فتشير الدراسات إلى أن كارناب قد تأثر " بالمناقشات مع الأصدقاء وبقراءته لبعض الكتب ،حيث بدأ يشك تدريجياً بالعقائد الدينية حول العلم ، الإنسان ، والله " ، إذ اعتقد أن هذه العقائد لا تتناسب مع نتائج العلم الحديث خاصة مع نظرية التطور في البيولوجيا و الحتمية في الفيزياء [5]

---

[1] محمد شطوطي ، اللغة المنطقية عند برتراند راسل ، دار مدني ، الجزائر ، 2001 ، ص 75 .

[2] وداد الحاج حسن ، المرجع السابق ، ص 280 .

[3] المرجع نفسه ، ص 281 .

[4] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 282 .

[5] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 280-281 .

لقد كان للنزعة التجريبية بالغ الأثر في اختيار كارناب للوجهة العلمية التي سيشتغل بها ويجعلها أولى اهتماماته ، إذ « من بين العلوم التجريبية وجد كارناب نفسه منجذباً إلى الفيزياء »[1] . وفي ذات الوقت كان البعد الفلسفي حاضراً في أبحاثه على اعتبار أن القول بإمكانية التنبؤ ما هو إلا تأكيد على صحة مبدأ الحتمية الذي ينص على أن هناك ضرورة منطقية بين الأساليب والنتائج . وهو ما قد كان مجال بحث لدى الفلاسفة الاستقرائيين في الفلسفتين الحديثة و المعاصرة .

3- تأثره بفلاسفة اللغة :

قد سبق * وأن أشرنا إلى المناقشات التي دارت بين رجال حلقة فيينا وفتجنشتاين ، لكن بعد بحثنا نستطيع القول أنه لم يكن هناك تأثير مباشر بين فتجنشتاين وكارناب ، كما أنه لا يوجد توافق بينهما مثلما هو موجود بين فتجنشتاين وبعض رجال الوضعية المنطقية والشاهد هنا هو « فلقد كان (فتجنشتاين) على الخصوص على علاقة قوية بـ (شليك) و (وايزمان) »[2] . المعنى الذي يفهم من هذا القول هو أنه لا توجد علاقة مباشرة جمعت بين كارناب وفيتجنشتاين ، إذ في القول لم يتم ذكر كارناب بالإضافة إلى الاختلاف في الرؤى الفلسفية حول الميتافيزيقا وهذا ما يظهر لنا وجود نظرة نقدية من كارناب اتجاه فلسفة فتجنشتاين « إذا رغب أحد حقا تجنب الموقف الميتافيزيقي تماما فإنه سوف يصمت ولكن ليس عن شيء ما، فهذه العبارة تعبر عن موقف نقدي لفلسفة فتجنشتاين ، وهو موقف أيده كارناب الذي لم يكن يهتم كثيرا بما هو ميتافيزيقي في الرسالة بقدر اهتمامه بالجهد الذي قام به فتجنشتاين في المنطق»[3] .

---

[1] المرجع نفسه ، ص 280 .

* عد إلى الصفحة 19 من هذا العمل .

[2] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 217 .

[3] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 219 .

أما عن تأثره بالوضعيين المنطقيين الذين سبقوه فنقول أن بداية عهد كارناب بالوضعية المنطقية كانت سنة 1920 حينما التحق بالمحاضرات التي كان يقدمها النمساوي موريس شليك (1882-1936) ، حيث كانت «الفكرة الأساسية في فلسفة شليك هي أن الفلسفة ليست علما ، بل هي نشاط ، ... فموضوع الفلسفة هو المعنى ومهمتها هي إيضاح المعنى ... بعبارة أخرى نستطيع أن نقول إن المهمة الرئيسية للفلسفة هي اكتشاف منطق العلم من ناحية ، وتقنية اللغة الفلسفية في استعمالاتها التقليدية من ألوان الخلط والغموض من ناحية أخرى » [1].

إن شليك – وربما هذا ضروري جدا في بحثنا – لم يكتف بتحديد مشكلة الفلسفة بل تجاوز ذلك إلى تحديد هدفين أساسيين للوضعية المنطقية « أما بالنسبة للهدف الأول فيقتضي المنهج الفلسفي تطبيق المنطق الرمزي على التصورات والمفاهيم العلمية وأما بالنسبة للهدف الثاني فيتطلب الأمر تحليل اللغة التي يستخدمها الفلاسفة»[2]

خلاصة الفصل الأول : نقول أن نشوء الوضعية المنطقية وكذا موقفها من الميتافيزيقا لم يأت من فراغ ، بل كان انعكاسا لتأثيرات غير مباشرة (الوضعية الكلاسيكية الحديثة) ولتأثيرات مباشرة تتمثل فيما قدمه الفلاسفة التحليليون أبرزهم (جورج إداورد مور G.E.Moor 1873-1958) (فريجه) ، (راسل) ، و من بعدهم (فتجنشتاين) ، لكن هذا لا يعني التطابق في التصور الفلسفي ، فقد كان لدى الوضعية المنطقية تصورا تحليليا مختلفا عن التيارات السابقة لها حتى وإن كانت قد أثرت فيها .

ويمكن أن نلخص فلسفة الوضعية المنطقية في ثلاث نقاط :

أولا : المعرفة الإنسانية لا تتجاوز نوعين من العلوم ، علوم صورية منطقية ورياضية وعلوم اختبارية تجريبية .

[1] فؤاد كامل ، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 87 .

[2] المرجع نفسه ، ص 87 .

ثانيا : القضايا الميتافيزيقية لا يمكن التحقق من صدقها ولا من كذبها ، وهذا ما يجعلنا نرفضها .

ثالثا : تحول دور الفلسفة من تناول المسائل الميتافيزيقية الكلاسيكية كالمبادئ الأولى التي هي بعيدة عن الطابع الواقعي للوجود (الوجود ، الروح ، المصير ، العدم ...) إلى مهمة جديدة تتمثل في تحليل اللغة وفق أسس منطقية .

ولأن دراستنا هذه انطلقت من اعتبار رادولف كارناب أنموذجا للفكر الوضعي المنطقي فإننا نتساءل ما هي الأسس التي اعتمدها كارناب في حذفه للميتافيزيقا ؟

تمهيد : إذا كان التحليل مع الوضعية المنطقية عامة منصبا حول لغة العلم ؛ فإننا نتساءل ما هو الدور الذي لعبه كارناب في هذه المسألة ؟ وإذا كانت دراسة الباحث هذه قد انطلقت من اعتبار كارناب أنموذجا للوضعية المنطقية فإنه يتساءل ما هي الأسس التي اعتمدها كارناب في حذفه للميتافيزيقا ؟

المبحث الأول : أسس حذف الميتافيزيقا لدى كارناب

يمكن أن نقدم هذه الأسس في جانبين : جانب لغوي منطقي وجانب تجريبي علمي

المطلب الأول : الأسس المتعلقة بالجانب اللغوي المنطقي

1- التحليل المنطقي للغة : قد سبق وأن ذكرنا أنه من مبادئ الوضعية المنطقية استخدام المنطق والتحليل اللَغوي ، لكنَنا أشرنا إلى من سبق كارناب فقط لاعتبارات منهجية (شليك ، أوتونيراث ، فايجل ...) ، أما حينما نتناول رؤية كارناب في هذه المسألة فإننا نلحظ مفارقة تتمثل في أن رفض الميتافيزيقا لديه كان بسبب سبب افتقارها لأيَ أساس منطقي . يقول (كارناب) « لقد مكن تطور المنطق الحديث من طرح إجابة جديدة ودقيقة للسؤال المتعلق بمصداقية ومشروعية الميتافيزيقا، ... ، أما في مجال الميتافيزيقا – الذي يتضمن فلسفة القيمة والنظرية المعرفية – فقد أدى التحليل المنطقي إلى نتيجة سلبية مفادها أن القضايا المزعومة فيه تخلو من أي معنى، فضلا عن ذلك فقد تم استئصال الميتافيزيقا جذريا وهـذه مهمة لم يتسن إنجازها من منظور النزاعات اللاميتافيزيقية السالفة » [1].

[1] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، من كتاب كيف يرى الوضعيون الفلسفة ، للناشر أي جي مور ، تر: نجيب حصادي ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، دار الأفاق الجديدة ، د ط ، د ت ، ص 140-141 .

لقد أشارت الدراسات المختلفة في هذه المسألة أن الفلسفة في مفهومها عند كارناب أصبحت بمثابة " تحليل منطقي للغة العلم، وهذا ما قدمه في كتابيه (البناء المنطقي للغة عام 1934) و (كتاب الفلسفة والبناء المنطقي سنة 1935) حيث أن الفلسفة هي تحليل منطقي لجمل العلم ، مصطلحاته ، مفاهيمه ، ونظرياته " [1]

نفهم مما سبق أن الفلسفة لدى كارناب هي تحليل منطقي للعبارات التي يدعي أصحابها أنها تعبر عن حقائق علمية ، وربما ما يؤكد تحليلنا هو القول الذيى يشترك فيه (هان ، نيوراث ، وكارناب) والذي مضمونه أن « توضيح المشكلات الفلسفية والأقوال الفلسفية بمعنى الكلمة هو الذي يشكل مهمة العمل الفلسفي، ومنهجية هذا التوضيح هو التحليل المنطقي » [2]

إن التحليل لدى كارناب باستطاعته الكشف عن الطبيعة السنتاكسية * للقضايا وهو ما يكشف أن العديد من الجمل الفلسفية مضللة ، ويقدم لنا عن ذلك مثالا[3] في الجمل الآتية :

1- إن الوردة حمراء

2- الوردة شيء

3- إن كلمة الوردة كلمة شيئية

---

[1] منذر الكوثر ، فلسفة التحليل والبحث في المعنى الوضعية المنطقية عند آيار ، مرجع سابق ، ص 168 .

[2] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 225 .

* السنتاكسية من الـ syntax وتعني البناء اللفظي للعبارة .

[3] منذر الكوثر ، فلسفة التحليل والبحث عن المعنى الوضعية المنطقية عند آيار ، مرجع سابق ، ص 169 .

وعند التحليل يتضح لنا أن :

الجملة (1) هي جملة تجريبية تتحدث عن شيء يتجاوز اللغة وهي جملة شيئية حقيقية .

الجملة (3) هي جملة حول كلمة أي أنها جملة سنتاكسية .

أما الجملة (2) فهي جملة غامضة ، لماذا ؟ لأنها في صورتها تشبه الجملة رقم (1) ، وفي فحواها تشبه الجملة رقم (3) ، وعليه فهي جملة شيئية زائفة .

ما يوضحه كارناب هو أن " كل جملة ذات معنى هي إما جملة شيئية حقيقية وهي بهذا تعود إلى أحد العلوم الطبيعية ، وإما جملة سنتاكسية في المنطق والرياضيات والفلسفة بوصفها تحليلا منطقيا تكون متطابقة مع المجموع الكلي للجمل السنتاكسية الصحيحة فيما يتعلق بلغة العلوم " [1].

ما نفهمه نحن من هذا هو أن الفلسفة لدى كارناب هي تحليل البناء المنطقي للغة العلم والتحليل هو الكشف عن الأسس والقواعد الصورية المنطقية والرياضية للجمل والتعبيرات . هذا الأمر يؤكده الدارسون حيث « كان كارناب قد قام بمحاولات عدة لتحليل مفاهيم اللغة العادية وبناء تعريفات لها مستخدما المنطق الرمزي، وقد اعتمد في البداية الطريقة المعتادة مبتدئا بتحليل المركبات إلى مكوناتها الأصغر فالأصغر »[2]. هذا ما يعني لنا أنه حسب كارناب لا يمكن إلحاق اليقين بالتصورات إلا بإعطائها بنية منطقية، وهذا ما يعكس امتداد النزعة المنطقية في اللغة ابتداء من الوضعيين المنطقيين الأوائل وصولا إلى كارناب.

[1] منذر الكوثر ، فلسفة التحليل والبحث عن المعنى ، مرجع سابق ، ص 170 .

[2] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 55 .

إنه وبعد استقرائنا للتحليل المنطقي للغة لدى كارناب نصل إلى إدراك أمرين :

أولا : التحليل المنطقي للغة يعني نقل مجال المعرفة إلى نطاق اللغة ، حيث اهتمت الفلسفة بتحليل عبارات اللغة المتعلقة بالأفكار ، وعليه فإن تحليلنا للغة هو تحليل للفكر.

وكشف عن بنائه المنطقي فالقضايا ذات المشروعية هي ثلاث ، ونجدها في قوله « أي قضية يود المرء تشكيلها لا تنتمي إلى إحدى هذه المقولات الثلاث ستكون بالضرورة خالية من المعنى ، ولأن الميتافيزيقا لا ترغب في تقرير قضايا تحليلية ولا ترغب في الانتماء إلى مجال العلم الأمبريقي ، فإنها تجد نفسها مرغمة إما على استعمال كلمات خالية من المعنى لأنها تفتقد لمعيار التحقق من معانيها ، أو على تجميع كلمات ذات معنى بطريقة لا تفضى إلى قضايا تحليلية (أو متناقضة) ولا تفضي إلى قضايا أمبريقية في الحالين ، القضايا الزائفة هي نتاج الميتافيزيقا المحتوم »[1] فهي بنوع من التبسيط كالآتي :

أ- قضايا التحصيلات الحاصلة (التحليلية) ، وهي قضايا الرياضيات والمنطق وتحمل صدقها في ذاتها .

ب- قضايا المتناقضات هي سلب النوع (أ) . تتضمن تناقضا داخليا ، وبطلانها يرجع إلى صورتها فقط .

ج- قضايا أمبريقية (تركيبية) : وهي التي تعود في صدقها أو كذبها إلى أحكام التجربة وهي قضايا تجريبية .

هذا ما يعني أن القضايا الميتافيزيقية هي قضايا خالية من المعنى وجب رفضها

ثانيا : كارناب جعل من اللغة مدخلا أو بوابة – إن صح القول – لرفض الميتافيزيقا

[1] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، مصدر سابق ، ص 165 .

وبالتالي فإن كارناب قد ميز تعبيرات أو ألفاظا دون مدلول حسي ، وهي التي تسمى بالتعبيرات أو الألفاظ الزائفة ، وقد رأى لرفضها سبب عدم مقابلتها ومطابقتها لأي وجود أو مدلول حسي .

2- الخلو من المعنى :

لما يذكر (كارناب) « مذهب يقرر أن التحليل المنطقي يوضح كيف أن قضايا الميتافيزيقا مجرد جمل زائفة »[1] ، فإنه يريد أن يكشف على أن أبحاثه هي في دائرة مسألة المعنى ، وفي هذه المسألة أكد كارناب على ضرورة استعمال عبارة (تخلو من المعنى) حيث يذكر « عندما أقول إن قضايا الميتافيزيقا المزعومة (تخلو من أي معنى) فإنني أعني هذه العبارة بمدلولها الدقيق ، بمدلول أقل دقة ، يقال عن الكلمة أو الجملة (أو السؤال) إنها تخلو من المعنى إذا لم تكن ثمة جدوى من تقريرها » [2].

وإذا تساءلنا كيف تكون القضايا زائفة حسب كارناب ؟ فإن الجواب هو خلوها من المعنى . وهذا الخلو هو أشكال [3]:

- خلو من المعنى إذا كانت العبارة عقيمة ، مثال ذلك (ما هو الوزن المتوسط للسكان القاطني في فيينا والذين ينتهي رقم هاتفهم برقم 3 ؟)

- خلو المعنى لأن العبارة باطلة كليا مثال (في عام 1910 كان يقطن بفيينا ستة أشخاص) .

- خلو من المعنى حيث تكون العبارة باطلة امبريقيا ومنطقيا ، مثال ذلك (كل من س و ص يكبر الآخر بعام واحد) .

---

[1] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، مصدر سابق ، ص 165 .

[2] المصدر نفسه ، ص 141 .

[3] المصدر نفسه ، ص 141 .

يشير كارناب إلى وجود نوعين [1] من الجمل الزائفة . جمل تتضمن كلمة يعتقد خطأ أنها ذات معنى ، وجمل لا تتضمن مثل هذه الكلمة لكنها تشكل بطريقة تخترق قواعد النحو حيث تفضي إلى جملة لا معنى لها . وهنا نلاحظ نحن أن القاسم المشترك بين النوعين هو خلو المعنى إما خلو في الأصل أو خلو في المنتهى .

وعن السبب الذي تكون فيها بعض الكلمات من دون معنى يكشف كارناب عن سببين « في الواقع إن كل كلمة ، ... ، تستحوذ أصلا على معنى ، وفي العادة تغير الكلمة معناها عبر تطورها التاريخي ، قد يحدث أيضا أن تفقد الكلمة معناها دون أن تستحوذ على معنى جديد ، وبهذه الطريقة تنشأ المفاهيم الزائفة » .[1]

إن من أمثلة الكلمات الميتافيزيقية التي يرفضها كارناب ويدعو إلى تجاوزها كلمة "مبدأ" حيث يقول « دعونا نعتبر – كمثال – الكلمة الميتافيزيقية (مبدأ) (بمعنى مبدأ للوجود لا بمعنى مبدأ للمعرفية أو أولية منطقية) ، ... ، يتوجب علينا – لمعرفة معنى كلمة (مبدأ) في هذا السؤال الميتافيزيقي – أن نسأل الميتافيزيقيين تحت أي شروط تصدق القضية (س هو مبدأ ص) وتحت أي شروط تبطل ؟ بكلمات أخرى . ما هو معيار تطبيق (أو تعريف) كلمة (مبدأ) ؟ يجيب الميتافيزيقيون بشكل يقترب مما يلي : (س هو مبدأ ص) تعني (ص تنشأ من س) ، (وجود ص رهن بوجود س) ،

(وجود س أساس لوجود ص) وما إلى ذلك . بيد أن هذه الكلمات تعتبر غامضة كما أنها تدعو إلى اللبس » .[2]

والسبب في رفض (كارناب) لهذه الكلمة هو أنها تؤدي إلى غموض سببه قول الميتافيزيقيين التعبير « ينشأ من » ، " وهذا التعبير لا يشير إلى علاقة زمنية أو تتابع

[1] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، مصدر سابق ، ص 142 .
[2] المصدر نفسه ، ص 147-148

حسي " [1] . كما أن الميتافيزيقيين في إجابتهم عن ماذا نعني " بمبدأ " لم يقدموا لنا سوى مترادفات (تنشأ ، رهن ، أساس) زادت الكلمة غموضا ولبسا .

لقد فصَل الباحث نوعا ما في تبرير ميتافيزيقية كلمة (مبدأ) . وذلك على سبيل الذكر لا الحصر . لأننا نجد كارناب يشير إلى كلمات أخرى ، فبالإضافة إلى كلمة(الله) التي يرى كارناب أن « الاستعمال اللاهوتي لكلمة (الله) يتموضع بين الاستعمالين الأسطوري والميتافـيزيقي فنـحن لا نجد هنا معنـى مميزا بل نجد معنى يتأرجح بين هذين الاستعمالين »[2] نجده يقول « فهكذا هو شأن الكلمات : (الفكرة) ، (المطلق) ،

(اللامشروط) ، (اللامتناهي) ، (وجود الوجود) ، (اللاوجود)، (الشيء في ذاته) (الشيء في – ومن أجل ذاته) ، (الروح الموضوعية) ، (الجوهر) ، (الوجود في ذاته) ، (الوجود في – ومن أجل ذاته) ، (الانبثاق) ، (التحقق) ، (الإفصاح) ، (الأنا) ، (اللا أنا) ، ... إلخ » .[3]

[1] بشير خليفي ، الفلسفة وقضايا اللغة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2010 ، ص 150

[2] رودولف كارناب ، المصدر السابق، ص 150 .

[3] المصدر نفسه ، ص 151 .

كمثال عن القضايا الخالية من المعنى ؛ يقدم لنا كارناب الجدول [1] الآتي ليبين لنا كيف أن الخلل المنطقي هو السبب في تحول القضايا إلى قضايا خالية من المعنى وبالتالي هي قضايا زائفة .

(1) جمل ذات معنى من اللغة المعادية	(2) الانتقال من المعنى إلى اللامعنى في اللغة العادية	–3) لغة صحيحة منطقيا
(أ) ماذا يوجد في الخارج ؟ خا (؟) مطر في الخارج خا (؟) (ب) ماذا عن هذه المطر ؟ (أي ماذا تفعل المطر أو ماذا يمكن أن يقال عنها ؟) (1) نحن نعرف المطر ن (م) (2) المطر تمطر م (م)	(أ) ماذا يوجد في الخارج خا (؟) لا شيء في الخارج خا (لا) (ب) (ماذا عن هذا اللاشيء ؟) (لا) ؟ (1) (نحن ننشر اللاشيء) (نحن نجد اللاشيء) (نحن نعرف اللاشيء) ن (لا) (2) (اللاشيء لا يتشيأ) لا (لا) (3) (اللاشيء يوجد فقط لأن ...) يو (لا) ...	(أ) هناك لا شيء (لا يوجد أي شيء) في الخارج (x) .ou (x l) – ن ن (هناك س) . خا(س) (4) ليست هناك صيغة من هذا القبيل يمكن تركيبها .

[1] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، مصدر سابق ، ص 155 .

وفي تحليلنا للعمود الثاني (الانتقال من المعنى إلى اللامعنى في اللغة العادية) من الجدول نكتشف : [1]

- الجملة (ب-1) بها خطأ استعمالي يتمثل في اعتبار كلمة لا شيء اسما.

- الجملة (ب-2) الخطأ يكمن في إضافة (لا يتشيأ) فهذا الأخير خالي من المعنى لأنها محمولة على اللاشيء الذي هو في الأصل خال من المعنى .

- الجملة (ب-3) خاطئة منطقيا لأنها لا معقولة ومتناقضة فهي مرفوضة لسببين : الأول خطأ استعمال كلمة (لاشيء) كما أشرنا سابقا في الأولى ، والسبب الثاني كونها تتضمن تناقضا لأننا نتناول اللاشيء وفي نفس الوقت الجملة تؤكد وجوده ، أي اقتران النفي مع الإثبات في آن وهذا ما يرفضه مبدأ عدم التناقض .

نلاحظ هنا أن (كارناب يؤكد) على أن الصدق هو البرهان على وجود المعنى في قضية ما ، أي أن الصدق والمعنى مقترنان . فنقول عن عبارات أو مفردات أنها خالية من المعنى لأنها لم تستوفي الشروط المرتبطة بحالات الصدق هذه الشروط يقدمها لنا كارناب في قوله [2] « إذا كانت (س) كلمة وكانت (ص) الجملة الأولية التي ترد فيها ، ... ، فإن كل من الصيغ التالية ، ... ، تحدد الشروط الضرورية التي تكفل استحواذ (س) على معنى :

1- معرفة معيارها الامبريقي .

2- اشتراط القضايا البروتوكولية التي تستلزم (ص س) .

3- تثبيت شروط صدق (ص س)

[1] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، مصدر سابق ، ص 156-157 .
[2] المصدر نفسه ، ص 147 .

4- معرفة منهج التحقق من (ص س) »

بعد استعراضنا لبعض الأمثلة التي يقدمها كارناب حول " الكلمات الخالية من المعنى " و " القضايا الزائفة " ننتبه إلى أن " المطابقة بين الجانب اللغوي والجانب المنطقي " للتعبيرات هي القاعدة الأساسية لوجود المعنى ، والإخلال بها يؤدي إلى الخلو من المعنى ، فحينما نراعي الجانب اللغوي (النحوي) فقط فإنه غير كاف حتى وإن كان سليما ، إذ لابد من مراعاة الجانب المنطقي كذلك ، فهذا الأخير هو الذي يجعلنا نحكم على القضية بالصدق أو الكذب .

ما ننتهي إليه في مطلب الأسس اللغوية والمنطقية لحذف الميتافيزيقا لدى كارناب هو أن هذا الأخير اهتم اهتماما بالغا بمسألة المعنى بدليل تأليفه لكتب حول هذا الأمر * (مدخل إلى علم المعاني سنة 1942) ، (المعنى والضرورة سنة 1947) . وبمناداته بضرورة اعتماد الجانب المنطقي في اللغة فإنه أراد للفلسفة أن تصطنع لنفسها لغة علمية وفق أسس منطقية ، تكون القضايا على أساسها سليمة البنية ، دقيقة التعبير ، وواضحة المفاهيم .

يمكننا أن نذهب إلى أكثر من ذلك فنقول أن (كارناب) لم يكن اهتمامه باللغة كغاية ، بل أراد لها أن تكون وسيلة لتخليص الفلسفة من التعبيرات الميتافيزيقية . وربما هذا هو ما جعلنا نعتبره متميزا عن الوضعيين المنطقيين ، بل أبرزهم تمثيلا لهذه النزعة الفكرية في الفلسفة التحليلية .

(*) ينظر إلى الفصل الأول من هذا العمل ، بالضبط إلى جزئية مؤلفات كارناب ، ص 23 .

المطلب الثاني : الأسس المتعلقة بالجانب التجريبي العلمي

نريد في هذا المطلب أن نكشف عن قيمة التوجه الأمبريقي لدى كارناب في رفضه للميتافيزيقا ، كما نوضح الكيفية التي يمكن وضعها الوصول إلى فلسفة علمية حيث نستعرض ما يلي :

1- القابلية للتحقق التجريبي :

نقصد بهذا الأساس إمكانية العثور على مقابل واقعي تجريبي للقضية إذ وفقه يشير الوضعيون المنطقيون إلى امكانية التمييز بين القضايا ذات المعنى والقضايا التي ليس لها معنى ، وبناءا على ذلك نعتبرها صادقة أو كاذبة ، وهذا ما قد أشرنا إليه في الفصل السابق ، أما بالنسبة لكارناب فإن الأمر يزداد شدة وعمقا ، إذ كانت نزعته المتعلقة بضرورة المطابقة الواقعية بين العبارات والأشياء قوية ، حيث يذكر « لقد أوضحنا سلفا كيف أن معنى القضية يكمن في منهج التحقق منها ، فالقضية لا تقرر سوى ما يمكن التحقق منه بالنسبة إليها ، لهذا السبب فإنه لا يتسنى استعمالها إلا لتقرير قضية امبريقية وكل ما يمكن – من حيث المبدأ – خلف نطاق الخبرة المحتملة غير قابل لأن يقال أو يفكر فيه أو يسأل عنه »[1]

نفهم من هذا القول أن المعنى الخاص بالقضية مرتبطة بمنهج التحقق ، كما نفهم أن ما وراء العالم الواقعي التجريبي لا يمكن أن يكون موضوعا للفهم ، وما يعضد رأينا هذا أن كارناب يذكر « لذلك لم تعد تقلقنا أسئلة لماذا ولم نعد نقول (لا تسأل لماذا) . لأنه عندما يسأل شخص ما الآن لماذا . فإننا نفترض أنه يعني به معنى علميا،لا ميتافيزيقيا ، إنه يسألنا ببساطة أن نفسر شيئا ما بوصفه في إطار القوانين الأمبريقية ».[2]

[1] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، مصدر سابق ، ص 165 .

[2] رودولف كارناب ، الأسس الفلسفية للفيزياء ، ترجمة السيد نفادي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1993 ، ص 27 .

لقد أشار كارناب أن غاية التحليل المنطقي للغة هي الوصول إلى أبسط الجمل وهي التي يسميها بالجمل البروتوكولية ، وهي التي يوضحها في قوله « هكذا يتم إرجاع كل كلمة من كلمات اللغة إلى كلمات أخرى حتى نصل في نهاية المطاف إلى كلمات ترد فيها يسمى بالجمل (الملاحظية) أو (الجمل البروتوكولية) فعبر هذا الارجاع تحصل الكلمة على معنى » .[1] ومن خلال قوله بـ الملاحظية كبديل لبروتوكولية فإن تفسير هذه الأخيرة هو أنها عبارة تدل مباشرة على المعطى التجريبي ، ولا يمكن تبسيطها بل ما يمكن فعله اتجاهها هو مطابقتها للواقع فقط ومن ثم يمكن الحكم على صدقها أو كذبها .

وعن طريقة التحقق هذه ، يقدم لنا كارناب مثالا كالآتي « الآن أرى مربعا أحمر على أرض زرقاء ، فيمكن عندئذ اختبار صحة القضية مباشرة بإدراكي الحاضر ، فإذا كنت أرى الآن حقا مربعا أحمر على أرض زرقاء فإن القضية يجري التحقق من صحتها بصورة مباشرة بهذه الزرقة »[2] . فبناءا على هذا المثال نجد أن التحقق التجريبي هو المنهج الذي يعطي للألفاظ – جملا كانت أو كلمات – معنى .

حينما يذكر كارناب « إن دلالة الملفوظة ... تتماهى مع الطريقة التي تتحدد بها حقيقتها أو خطؤها : لا يكون الملفوظة أي معنى إلا إذا كان مثل هذا التحديد ممكنا»[3]

فإن هذا ما يؤكد ضرورة التحديد التجريبي .

[1] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، مصدر سابق ، ص 144 .

[2] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 245 .

[3] بيتر كونزمان وآخران ، أطلس الفلسفة ، مرجع سابق ، ص 219 .

كما يكشف لنا أهمية التحقق التجريبي المباشر ، وقد أشار كارناب إلى أنه « لقد حددنا الشروط البنائية (والتي يمكن التحقق منها تجريبيا) التي يتوجب توفرها في شيء ما ليكون حقيقيا في الاستخدام المعتاد للعلوم التجريبية » [1] وهذا الأخير يعكس لدينا انطباعا مفاده أن أفكار الإنسان ما هي إلا انعكاس للواقع الحسي .

إن فلاسفة العلوم المعاصرين في إيمانهم بالمبادئ الاستقرائية يستشهدون بما يقوله (كارناب) « فالملاحظات التي نقوم بها في حياتنا كل يوم وحتى الملاحظات العلمية المنسقة أكثر تكشف لنا عن وجود تكرار واطراد في العالم الخارجي ،... ، والقوانين العلمية ليست شيئا أكثر من أنها عبارات (منطوقات) تصوغ بأكبر دقة ممكنة أنواع الأطـراد هذه » .[2]

هذا ما يؤكد القول بان أفكارنا ما هي سوى انطباعات حسية منطلقها تجريبي ومنتهاها تجريبي كذلك . وفي هذه تقوية للنزعة التجريبية لكارناب ، لأم مبدأ اطراد الظواهر الذي يأخذ مسمى انتظام الظواهر والذي مضمونه أن ظواهر الطبيعة تحدث بشكل دوري منظم وتكراري ، وفائدته يلغي من أذهاننا فكرة العشوائية قي العالم . ما هو إلا تعبير على أن فهم القضية أو موضوعها يكون وفق المطابقة التجريبية .

2- التحول إلى الفيزيائية لضمان توحيد العلم :

ما يعبر عن هذا المعيار أو الأساس هو قول كارناب « الموضوع الرئيس هو السعي إلى اقصاء المسائل الزائفة من الابستمولوجيا بدءا بصياغة معيار عام للمعنى ، ثم

---

[1] CARNAP , R , the logical structure of the world and pseudoproblems in philosophy , trans by ROLF .A.GEORGE , London , 1968 , P 281 . [we have determinate what what constructional (empirically ascertainable) condition must be fulfilled in in order for an object to be called real in the customary usage of the empirical sciences]

[2] آمري لاكاتوش ، فلسفة العلوم ، تر ماهر عبد القادر محمد علي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ج6 ، ط1 ، 1997 ، ص 45 .

لتبيان تطبيق هذا المعيار للتعرف إلى النفسي الغيري ، مثل موقفي في ذلك الوقت مرحلة متقدمة من النزعة الفيزيائية والتي أدخلت عليها لاحقا بعض الملاحظات العامة » .[1]

معنى ذلك أنه بعد أن تم الكشف على أن الكلمات التي لا تشهد ضبطا تجريبيا في المعنى هي كلمات زائفة وجب التخلص منها ، وهكذا يجد العالم التجريبي نفسه أمام لغة وحيدة هي اللغة الفيزيائية ، وهي لغة العلم الموحد ، يقول (كارناب) « إذا تم تبني اللغة الفيزيائية على أساس كليتها كلغة لسستام العلم سيصير كل علم فيزياء ، وسيتم استبعاد الميتافيزيقا باعتبارها من غير مدلول وستصبح المجالات المتنوعة للعلم أجزاء من علم موحد » .[2]

لعل هذا القول سابق الذكر هو أقوى وأقرب تعبير عن الرغبة في توحيد العلم ، وقد استند بعض الدارسون في تبنيهم لهذا الموقف إلى قول (كارناب) « لم يعد على الفرد أن يشرع ببناء سستام كامل من الفلسفة بجرة قلم واحدة ، بل على كل واحد أن يعمل في مكانه الخاص ضمن العلم الموحد » [3]

إن من أهم المواضيع المعرفية التي رأى (كارناب) بضرورة إلحاقها بالفيزياء المواضيع السيكولوجية . لكن لماذا ؟ إنه وبعد تساؤلنا هذا وبحثنا في هذه المسألة تراءى لنا أن هناك معطى معرفي هو الإجابة ، وهذا المعطى يسمى بـ " الأسبقية الابستمية للموضوعات النفسية " [4] ، التي تعني أن فهم العناصر الثقافية لمجتمع ما غير ممكن من دون إرجاعها إلى عناصر نفسية ، فمثلا « التأكد من الدين المتبع في مجتمع معين من

[1] رودولف كارناب ، البناء المنطقي للعالم والمسائل الزائفة في الفلسفة ، مصدر سابق ، ص 21 .
[2] وداد الحاج حسن ، رادولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 67 .
[3] المرجع نفسه ، ص 68 .
[4] المرجع نفسه ، ص 59 .

خلال ما يحدث لأعضاء هذا المجتمع من تصورات ، انفعالات ، أفكار ، وخيارات من النوع الديني » .[1]

بعد إرجاع المعطى الثقافي إلى المعطى النفسي نقول أنه وفق رواية (كارناب) نستطيع فهم الأول فهما علميا دون زواله . لكن هذا غير كاف ، فماذا عن إرجاع العلم الفيزيائي في علاقته بالموضوعات النفسية ؟ ! وهنا يجيب بعض الدارسين « أما فيما يخص الموضوعات الفيزيائية ، فبرى كارناب أنها ممكنة الإرجاع إلى موضوعات نفسية ،...، وبالمثل يمكن إرجاع النفسي إلى الفيزيائي ، إذ يوجد لكل عملية نفسية عملية فيزيائية موازية في الدماغ » [2] .

من خلال ما سبق يمكن أن نستشف وجود مبادلة بين العمليات النفسية والعمليات الفيزيائية من جهة . وقد سبقت الإشارة إلى إرجاع الثقافي إلى النفسي من جهة أخرى وهكذا فإننا نصل إلى العلم الموحد من خلال – إن صح القول – فيزأة الموضوعات . لأن كارناب عالم فيزيائي قبل أن يكون دارسا لعلم النفس ، وما يبرر صحة تحليلنا هو " أن كتاب البناء المنطقي للعالم سنة 1928 هو بمثابة محاولة لكارناب لبناء نظرية معرفة عامة اختار لها قاعدة بنائية اشتق منها عالم الخبرة الحسية وعالم الفيزياء وعالم السيكولوجيا ومفاهيم الحضارة " [3]

إن الفائدة من علمنة الظواهر سواء كانت عناصر ثقافية نفسية أو فيزيائية تكمن في إمكانية التفسير ، حيث يقول كارناب « لا يوجد لسؤال يكون الجواب عنه في العلم من حيث المبدأ مستحيلا » [4] . وذلك باعتماد المنهج الفيزيائي ، الذي هو منهج اعتمدته الوضعية المنطقية عامة ممثلة في أهم أعلامها رودولف كارناب . وذلك بعد تحول

---

[1] وداد الحاج حسن ، رادولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، ص 59 .

[2] المرجع نفسه ، ص 60 .

[3] ياسين خليل ، مقدمة في الفلسفة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 22 .

[4] رودولف كارناب ، البناء المنطقي للعالم ، مصدر سابق ، ص 510 .

الأسئلة التي تتناول هذه المواضيع من طرح ميتافيزيقي إلى طرح علمي .فيذكر كارناب « لذلك لم تعد تقلقنا أسئلة لماذا . ولم نعد نقول (لا تسأل لماذا) لأنه عندما يسأل شخص ما الآن لماذا ، فإننا نفترض أنه يعني به معنى علميا لا ميتافيزيقيا إنه يسألنا ببساطة أن نفسر شيئا ما بوضعه في إطار القوانين الامبريقية » .[1]

المبحث الثاني : نقد كارناب للميتافيزيقا والفن كبديل لها

إذا كان المبحث السابق عبارة عن ضبط للقواعد المنطقية والتجريبية التي وفقها حاول كارناب حذف الميتافيزيقا ، فإن هذا المبحث يعد ممارسة إجرائية لهذا الموضوع ، ففيه سنعمل على ذكر بعض الفلسفات الميتافيزيقية التي انتقدها كارناب ومن ثم نمر إلى البديل الذي يقدمه كارناب بعد رفضه للميتافيزيقا .

المطلب الأول : نقد كارناب للميتافيزيقا

قد اشرنا سابقا إلى تاريخ رفض الميتافيزيقا لدى التيار الوضعي عموما * ابتداء من جذوره اليونانية (الشكاك ، الأمبريقيين) وحتى في العصر الحديث ، بل لدى الوضعيين المنطقيين كذلك ، غير أنه بعد استعراضنا لأفكار كارناب في هذا الموضوع سجلنا اختلافا جوهريا بينه وبين من سبقه ، فإذا كان التيار الوضعي عامة قد سلط الضوء على المواضيع الميتافيزيقية فإن الوضعيين المنطقيين وأبرزهم كارناب قد اهتموا بتحليل اللغة وتحييد العبارات الميتافيزيقية ، واعتبروا هذا الأمر كافيا لهدم الميتافيزيقا ، إذ نعيد التذكير بقول كارناب « تطور المنطق الحديث الذي جعل من الممكن تقديم جواب جديد وأكثر دقة فيما يتعلق بالسؤال عن صحة الميتافيزيقا وإمكان تسويغها » .[2]

---

[1] رودولف كارناب ، الأسس الفلسفية للفيزياء ، مصدر سابق ، ص 27 .

* أنظر إلى الفصل الأول من هذا العمل ، بالضبط إلى عنصر (موقف الوضعيين الأوائل من الميتافيزيقا)

[2] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 77 .

مع توضيحه لحقيقة الميتافيزيقا بقوله «إذا سألنا عن الماهية الميتافيزيقية لموضوع ما فإننا نود معرفة الموضوع المعني في ذاته ، .... ، وهذا ما يجعل السؤال ينتمي إلى الميتافيزيقا ، ... ، حيث تكون مثل هذه الأسئلة من دون تعليل أو معنى » .[1]

لقد رأينا أن يكون استعراضنا للنقد الذي وجهه كارناب للمدارس الميتافيزيقية يتماشى وفق الأسبقية الزمانية ، فنذكر :

1- نقد كارناب للفلسفة العقلانية :

إن هذا الموقف سبب الاستعمال المزيف للكلمات الميتافيزيقية ، حيث يرى كارناب أن من أهم الألفاظ التي تؤدي إلى أخطاء منطقية وتجعلنا في دائرة الميتافيزيقيا هو لفظ فعل الكينونة ، يقول كارناب « لعل غالبية الأخطاء المنطقية المرتكبة في القضايا الزائفة قائمة عل الصدع المنطقي المستثري في استعمال كلمة (يكون) في لغتنا » [2] .

إذ يبين كارناب أن الاضطراب المنطقي الذي تتسبب فيه هذه الكلمة يتمثل في تمييع المعنى ، " فهي تستعمل أحيانا كأداة وصل بين الموضوع والمحمول (أنا أكون جائعا) ، كما تستعمل أحيانا أخرى للإشارة إلى الوجود (أنا أكون) " . لقد اعترض كارناب على جزئيتين نجدهما في قوله « يكمن أولهما في النتيجة (أنا أكون) ، ليس هناك شك في أن الفعل (يكون) قد استعمل في هذا السياق بمعنى الوجود ،..، بيد أن هذا الاستعمال يخرق القاعدة المنطقية سالفة الذكر التي تقرر أن الوجود لا يحمل في غياب المحاميل وأنه لا يحمل الأسماء (المواضيع ، الأسماء ، العلم) » [3] . وبهذا فإنه يشير إلى مشكلة نجدها عند استعمال ديكارت لهذا الفعل أو اللفظ وهو ما يظهر في تفسير عبارة الكوجيتو الشهيرة « أنا أفكر إذن أنا موجود » « Cogito Ergo Sum » ولما يذكر كارناب

[1] رودولف كارناب ، البناء المنطقي للعالم والمسائل الزائفة في الفلسفة ، مصدر سابق ، ص 472 .
[2] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، مصدر سابق ، ص 161 .
[3] المصدر نفسه ص 162 .

« القضية الجزئية لا تتخذ صيغة (س يوجد)(كما في"أنا أكون" التي تعني "أنا موجود") بل تتخذ الصيغة (هناك شيئ من النوع كذا) » [1] . فإنه يواصل تبريره للاستعمال الخاطئ لكلمة "أكون" من طرف ديكارت ، إذ يبين لنا أن الحكم بوجود شيئ لا يتم التعبير عنه بـ (أنا أكون) ، لان هذا الأخير في دلالته على الوجود يعني (أنا أوجد)، بل نعتمده في التعبير كما في قولنا (يوجد شيئ من النوع كذا) ،وعليه فخطأ ديكارت هنا هو استعمال فعل الكينونة للدلالة على الوجود الذاتي .

أما الخطأ الثاني الذي يشير إليه كارناب في استعمال ديكارت لفعل الكينونة فنذكره في قول الأول « أما الخطأ الثاني فيتعين في النقلة من (أنا أفكر) إلى (أنا موجود) ، إن اشتقاق جملة جزئية ... يتطلب ألا تقرر الجملة الجزئية سوى وجود تلك الخصيصة وعلى وجه الخصوص فإنه ليس بمقدورها تقرير وجود الموضوع (ع) الوارد ذكره في المقدمة ، إن المرء لا يستطيع استنباط (أنا موجود) من (أنا أوروبي) ،فكل ما يستطيع استنباطه منها هو (هناك أوربي موجود) ، وعلى نحو مشابه، فإن (أنا أفكر) لا تستلزم(أنا موجود) بل تستلزم فحسب (يوجد شيء يفكر) [2]. أي أن كارناب يرفض وجود صلة بين التفكير كحالة واعية ذاتية وبين الوجود كموضوع لا يتحقق وجوده إلا بالانفصال عن الذات ، ففعل الكينونة يجب أن ينطبق على الموضوع الخارجي العيني المشاهد لا على ما هو ذاتي ميتافيزيقي .وهذا ما جعل فعل الكينونة وبسبب الأخطاء الاستعمالية يؤدي إلى مساوئ مفاهيمية .

[1] رودولف كارناب ، حذف الميافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، مصدر سابق ، 162 .

[2] المصدر نفسه ، ص 163 .

2- نقد كارناب للفلسفة المثالية :

في نقده لهذه الفلسفة عامة ، فلسفة (يوهان غوتلوب فخته J.G.Fichte 1762-1814) (فريديريك شلنغ F.Schelling 1775-1854)(فريديريك هيجل F.Hegel 1770-1831) يذكر كارناب « إذ كانت الخلفية هي المناخ الفلسفي الألماني في العصر الذي كان يسوده المثالية التقليدية لفخته وشلنج ، وهيجل ، شعر هؤلاء الرجال أن وصف العالم بالسؤال كيف . لم يكن كافياً .أرادوا فهماً أكمل ، واعتقدوا أنهم يمكنهم الوصول إلى هذا الفهم عن طريق أسباب ميتافيزيقية تكمن خلف الظواهر وليست في متناول المنهج العلمي » [1] ، إذ يصور لنا حالة معرفية كانت سائدة جوهرها التفسير الميتافيزيقي وهذا ما يوضحه بعض الدارسين بقوله « ويمكن أن نشير إلى أن فخت ... هيجل ، شلينغ ، بوصفهم أبرز الفلاسفة الذين قدموا مذاهب واحدية روحية في العصور الحديثة » [2] فتبرير الخاصية الميتافيزيقية يكمن في أن المذهب الواحدي الروحي –كما نعلم– هو المذهب الذي يفسر الوجود بالروح والعقل.

وحينما يكتب « عندما كنت شاباً صغيراً ، وعضوا في دائرة فيينا كانت بعض نشراتي المبكرة مكتوبة كرد فعل على المناخ الفلسفي للمثالية الألمانية » [3] فإنه يريد أن يكشف عن نظرته العدائية للتوجه المعرفي الكلاسيكي لدى الفلاسفة المثاليين ، والتي نجدها نحن قديمة قدم كتباته . فقد عثرنا في كتابه الموسوم بـ " البناء المنطقي للعالم " والذي يعد من مؤلفاته المبكرة على قوله « لكن يمكننا أن نبين في كل حالة أن المفهوم الذي يعرف بهذه الطريقة لا يتفق مع المفهوم كما تفهمه النزعتان الواقعية والميثالية معاً ، ....، لا يمكن بناء المفهوم (الثاني) للواقع ضمن نسق بنائي تجريبي فهذا يجعله مفهوما لا عقلانيا و

---

[1] رودولف كارناب ، الأسس الفلسفية للفيزياء ، مصدر ابق ، ص26 .

[2] جعفر حسن الشكرجي ، دراسات في الميتافيزيقا والنفس ، مرجع سابق ، ص 29 .

[3] المصدر نفسه ، ص 27 .

ميتافيزيقيا » [1] . كما عثرنا على قوله « ولقد ميزنا نوعين مختلفين لمعنى كلمة (واقع) أحدهما واقع تجريبي والآخر واقع ميتافيزيقي . كمثال الفرق بين المعنيين موضح من خلال السؤالين الآتيين " هل كانت حرب طروادة حدثا حقيقيا أم مجرد اختراع ؟ " " هل تلك الأشياء التي لم تتم محاكاتها ، كالأشياء المادية المصورة حقيقية أم أنها مجرد محتويات للعقل ؟ " » [2]

إن كارناب بنزعته العلمية الفيزيائية لم يكتف بوصف الحالة المعرفية التي كانت سائدة آنذاك بل تجاوزه بذكر موقف الفيزيائيين المعاصرين من هذه الحالة، و يبين ما سبق بقوله « قاوم علماء الفيزياء وجهة النظر هذه بقولهم دعونا و شأننا . وخذوا معكم أسئلتكم (لماذا؟) ، فليس ثمة إجابة عنها في حدود القوانين الأمبريقية » .[3]

كما أشار إلى تطور هذا الموقف مع الوضعيين المنطقيين فيما بعد « لم تعد تقلقنا أسئلة لماذا »[4] ، حيث أن الإجابة عن هذا السؤال لم تعد بتقديم العلل القصوى ذات الحقيقة الميتافيزيقية ، بل أصبحت مبنية على علل وتبريرات مباشرة ذات حقيقة فيزيقية في إطار امبريقي .

إن رفض الأفكار الميتافيزيقية التي جاء بها المثاليون تتضمن رفضاً للتصور الكانطي المتعلق بإمكانية المعرفة القبلية التأليفية ، فقد أكد الوضعيون المنطقيون ومن بينهم كارناب أنه « لا يسلم الفهم العلمي للعالم بمعرفة صحيحة بلا شروط تجد مصدرها

---

[1] رودولف كارناب ، البناء المنطقي للعالم ، مصدر سابق ، ص 510

[2] CARNAP , R , the logical structure of the world and pseudoproblems in philosophy , IP . id , P 281 . [Thus we have to differentiate true different meanings of the word reality wherever it is necessary . we shqll indicate them by calling the one empirical reality and the other metaphysical reality] .

[3] رودولف كارناب ، الأسس الفلسفية للفيزياء ، مصدر سابق ، ص 26 .

[4] المصدر نفسه ، ص 27 .

في العقل المحض ، ولا (بأحكام تأليفية قبلية) كما نجدها في أساس النظرية الكنطية في المعرفة ،وبالأحرى في كل انطولوجيا وكل ميتافيزيقا قبل و بعد كنطية » [1] .

هذا النقد جـاء بعد ما كانوا متفقين معه في مسألة " فراغ القوالـب الذهنية من أي مضمون " اختلفوا معه في اعتقاده بالتركيب أو التأليف القبلي ، لأنهم كما نعلم لا يؤمنون إلا بمعرفة ذات علاقة بالوجود الحسي .

إن هذا الموقف يعيد الباحث إلى مسألة تأسيس الحقائق الرياضية على العقل الخالص لدى كانط حيث أن هذا الأخير يلخص رؤيته في هذا الموضوع « المكان والزمان مفهومان مجردان ،....، إنهما ليسا مشتقين من الإحساسات أو مستمدين من التجربة، بل هما الدعامة الأولى لكل معرفة حسية ، وطبيعتهما الأولية تجعلهما يتصفان بالضرورة »[2] بمعنى هذا حتى وإن كانت لدينا قضية رياضية تأليفية (نقصد هنا عملية الجمع كعملية عقلية) فإنها حسب كانط لا تحتاج إلى مدلول حسي ، بل تعود فقط إلى تصورات قبلية وهذا ما يرفضه الوضعيون المنطقيون .

وعليه فإننا نفهم أنه لدى كارناب لا وجود لمعرفة قبلية في القضايا التأليفية ، بل إن

فهم هذه الأخيرة يستند أساسا إلى التجربة بمفهومها الواسع ، معتمدين في ذلك اللغة التحليلية التي أساسها منطقي رياضي ، لأن كارناب كما سبق وأن أشرنا يؤمن جازماً بأن البنية المادية للعالم تتضمن بنية منطقية نجد لها انعكاساً في أذهاننا ، وهكذا لا معرفة إلا في إطار فيزيقي ، وما عدا ذلك لا وجود لها لعدم وجود اللغة الي تعبر عنها .

[1] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 46 .

[2] جمال الدين بوقلي حسن وآخرون ، إشكاليات فلسفية ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، الجزائر ، 2008 ، ص 284 .

بالرغم من تأكيد كارناب « وبالتالي لا يوجد ما هو تركيبي قبلي » [1] ، إلا أننا نعثر على تطرف ميتافيزيقي كانطي – إن صح القول - للمسائل العرفية المختلفة ، حيث يذكر كانط « كتب على العقل البشري أن يتحمل هذا القدر الخاص في نوع من معارفه فهو مثقل بأسئلة ترهقه ولا يستطيع أن يصرف النظر عنها ،لأنها مفروضة عليه بحكم طبيعته نفسها ، ولكنه في الوقت نفسه لا يستطيع الإجابة عنها لأنها تجاوز كل ما يملك من قدرات » [2] ، وهكذا نقول أن ميتافيزيقية كانط هي من كانت دافعاً لكارناب كي يحكم على المعرفة الكانطية بالافتقار إلى المحتوى المادي و الاعتماد على التبرير الفلسفي المجرد فقط ، بل إن كانط هو ذاته يعترف بهذا « يقع العقل في الحيرة من غير ذنب منه فهو ينطلق من مبادئ يكون استعمالها في سياق التجربة ضروريا لا غنى عنه ،...، ومع ذلك يظل عاجزاً على اكتشاف تلك الأخطاء لأن المبادئ التي يستخدمها تجاوز حدود التجربة » [3]

مع التذكير بأن رؤية كارناب في رفضه للميتافيزيقا من خلال التحليل المنطقي للغة ترفض الخوض في صدق أو كذب المسائل الميتافيزيقية التي يطرحها كانط ، وتتناول مقابل ذلك السلامة المنطقية للغة التي يعتمدها .

3- نقد كارناب للفلسفة الوجودية :

دائماً في إطار رفض الميتافيزيقا الذي يكون من خلال حذف العبارات الميتافيزيقية نجد أن عبارة العدم التي تحتل مكانة أساسية في الفلسفة الوجودية كان لها نصيب لا يستهان به من النقد من طرف كارناب ، حيث يقول هذا الأخير عنها لدى الفيلسوف الألماني (مارتن هيدجر Martin Heidejjer 1889-1976) « في ضوء هذه الأخطاء

[1] رودولف كارناب ، البناء المنطقي للعالم ، مصدر سابق ، ص 519 .

[2] محمد عثمان الخشت ، العقل ... وما بعد الطبيعة ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، مصر ، د ط ، 1995 ، ص 152 .

[3] محمد عثمان الخشت ، العقل ... وما بعد الطبيعة ، مرجع سابق ، ص 152 .

المنطقية الجسمية ، قد يفترض المرء احتمال أن يكون لكلمة (لا شيء) في السياق الذي يعني به (هيدغر) معنى يختلف من معناها العادي ، وهو افتراض يشهد عليه قول (هيدغر) إن القلق يميط اللثام عن اللا شيئ حاضر في القلق يبدوا أن كلمة (لا شيء) تشير إلى وضع عاطفي قد يكون ذا صبغة دينية أو أي صبغة أخرى قد يتسم بها مثل هذا الوضع » [1] .

ففي الحين الذي يعتبر فيه كانط كلمة العدم ذات معنى يعتبرها كارناب دون معنى إذ لا يوجد شيء يقابل العدم ، لأن معيار التحقق التجريبي لا يجد لنفسه موضعاً ، وعليه فليس من المنطق القبول بهكذا لفظ ، حيث لما يقول كانط « نحن نبحث عن العدم » [2] .

فإن المشكلة التي يواجهها رجل المنطق هو أنه وفق الرؤية الوضعية المنطقية يستطيع أن يستبدل كلمة (العدم) بأي شيئ إلا أن يبقيها فلن يستطيع ذلك لأنها دون مدلول .

إن كارناب وفي عنصر " خلو كل الميتافيزيقا من المعنى " يحرص على رفضه لكل الأنساق الميتافيزيقية (ماقبل الكانطية ، الكانطية ، وما بعد الكانطية) ، حيث نجده يستهل هذا المبحث بقوله « غير أن النتائج التي انتهيت إليها تسري – بنفس القدر من المشروعية ، وفي بعض الأحيان تسري حرفيا – على أنساق ميتافيزيقية أخرى لقد كان هيدغر محقا في اقتباسه وموافقته على عبارة (هيجل) : (الوجود المحض واللاشيء (العدم) شيء واحد) ، فميتافيزيقيا (هيجل) تتسم بنفس الخصائص المنطقية التي يتسم بها هذا النسق الميتافيزيقي المعاصر » [3] . فبالرغم من أن الأخطاء المنطقية تختلف من مدرسة ميتافيزيقية إلى أخرى إلا أن الحكم عليها واحد وهو ضرورة تجاوزها .

---

[1] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، مصدر سابق ،ص 157 .

[2] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 80 .

[3] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، مصدر سابق ، ص 161 .

قد سبق و أن أشرنا في المبحث الأول من الفصل وفي جزئية " الخلو من المعنى " إلى أنه من العبارات الميتافيزيقية التي يجب حذفها عبارة (الشيء في ذاته) ، وهذه رمزية إلى رفض الفلسفة الوجودية التي جعلت من التفكير في الوجود الذي يحياه الإنسان ويفكر فيه موضوعاً للتأمل ، وهذا ما تسميه الوجودية " الوجود لذاته".

إن هذا النقد الوصفي المنطقي للتصور الميتافيزيقي الوجودي هو في حقيقة الأخر نقد لكل فلسفة تجعل من موضوعاتها وراء أي تجربة ، فمن الخطأ أن نبقى نتساءل ونناقش المواضيع الماورائية في حين أن الفكر الإنساني بدأ في التحول من " التفكير من أجل التفكير " إلى " التفكير من أجل العمل " وهنا إشارة إلى ضرورة الابتعاد عن التأمل الذاتي إلى فلسفة عملية ، لكن على مستوى الفلسفة الوضعية المنطقية يجب أن نتكلم بتعبير آخر وهو " التحول من اللغة الميتافيزيقية إلى لغة تحليلية منطقية رمزية "

المطلب الثاني : الفن كبديل للميتافيزيقا :

1- الميتافيزيقا تفكير أسطوري دون مدلول

في مستهل هذا المطلب أردنا أن نوضح نشوء الميل إلى ميتافيزيقا كنزوع اتجاه الحياة لدى الميتافيزيقيين حسب تصور كارناب ، فنذكر قوله « إن قضايا الميتافيزيقا (الزائفة) لا تهدف إلى وصف الأوضاع الممكنة أو القائمة (وإلا أصبحت قضايا صادقة) ، ولا تهدف إلى أوضاع غير قائمة (وإلا أصبحت قضايا باطلة) ، بل تهدف إلى نزوع عام نحو الحياة » [1] . معنى ذلك أن قضايا الميتافيزيقا هي قضايا دون مدلول ،أي أننا لا نحكم بصدقها أو ببطلانها ،فنحن لا نعرف عما تعبر ، فحينما يقول الميتافيزيقي شيئاً فإننا لا نقول قد أصبت أو أخطأت بل نقول له "ماذا تعني بقولك كذا؟ "

لقد أرجع كارناب نشوء الميتافيزيقا إلى الأسطورة ، فقدم لنا أمثلة (الطفل يغضب على المنضدة الشريرة التي سببت له الألم ،...، الرجل البدائي يحاول أن يهدأ من روع

[1] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، مصدر سابق ، ص 169 .

شيطان الزلازل الذي يهدده وأن يعبد شاكراً ألوهية المطر الخصبة)[1] ، حيث ان التفكير الأسطوري قد انعكس على جوانب حياة الإنسان وعلى الجانب الديني أكثر ،فأصبحت الأسطورة جزءاً من التدين ، وهكذا فإن المسائل الدينية في اعتقاد كارناب هي مسائل ميتافيزيقية مرفوضة .

2- الفن ممارسة عملية :

بعد توضيحه لنشوء الميتافيزيقا يقدم لنا كارناب بديلاً عنها للتعبير عن الميل نحو الحياة ، يتمثل هذا البديل في " العمل الفني " ، فيقول « المهم بالنسبة لنا هو كون الفن أداة ملائمة وكون الميتافيزيقا أداة غير ملائمة للتعبير عن هذا النزوع » [2] .

ولقد كان هذا البديل لسببين :

الأول يتمثل في أن الميتافيزيقا ليست باستطاعتها ان تعبر عن موضوع او عن أي مدلول ، وهذا ما نجده في قوله « هكذا ينشأ وهم وجود محتوى نظري رغم عدم وجود مثل هذا المحتوى . إن الميتافيزيقي – فضلا عن القارئ – يعاني من وهم الاعتقاد في أن الميتافيزيقا تقول شيئا وتصف أوضاعاً » [3] . بمعنى أن الميتافيزيقا ليس باستطاعتها أن تعبر عن شيء فكيف يستطيع التحقق من صدق أو بطلان ذلك الشيء .

فالمشكلة تعظم حينما يشرع الميتافيزيقي في دحض براهين من يخالفه من الميتافيزيقيين الآخرين ،« غير أن الميتافيزيقي يعزز قضاياه بالبراهين ،فهو يوافق على محتوى هذه القضايا ويجادل ضد الميتافيزيقيين ذوي النزاعات المخالفة لمحاولة دحض مزاعم في أبحاثه . في المقابل ، لا يحاول الشاعر الغنائي في شعره دحض قضايا قصائد الشعراء الغنائيين الآخرين »[4]. والمفارقة هنا حسب ما يتضح لنا تكمن في أن الميتافيزيقي

[1] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، المصدر السابق ، ص 169 .
[2] المصدر نفسه ، ص 170 .
[3] المصدر نفسه ، ص 171 .
[4] المصدر نفسه ، ص 171 .

يخوض في الجدال الذي يصل به إلى مغالطة الذات في حين أن الفنان يكتفي بالتعبير عما يخالجه من مشاعر و أفكار أما السبب **الثاني** فيكمن في قدرة الفنان على تقديم ما يتناوله من جوانب الحياة في شكل عملي وقد استشهد بما يقدمه الفيلسوف الألماني (فريديريك نتشه Friedrich Nietzshe 1844-1900) ، يقول كارناب « لقد تميز الجزء الغالب من أعمال (نتشه) بصيغة امبريقية فنحن نجد فيها تحليلات تاريخية لظواهر فنية بعينها أو تحليلا نفسيا للأخلاق ، أما في الجانب الذي يعبر فيه بقوة ما يعبر به الآخرون عبر الميتافيزيقا وعلم الأخلاق – أي في " هكذا تكلم زرادشت " – فإن(نتشه) لا يختار الشكل النظري ، بل يختار صراحة الشكل الفني (الشعر) » [1] . أي أن أفكار الفنان لا تبقى حبيسة التصورات النظرية ، وهكذا فإن الممارسة العملية للجانب الفني هي ما تأكد بطلان الأطروحة التي تقول بأن " الميتافيزيقا تصلح لأن تعبر عن النزوع نحو الحياة " . إن كارناب في مقاله الشهير حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة يجعل من استبدال الميتافيزيقا بالفن حلا . وربما يريد أن يكشف لنا عن مطابقة أو مماثلة بين الجانبين المنهجي والمعرفي . فمنهجيا جعل هذا العنصر في ختام مقاله ، ومعرفيا نجده لما يقدم لنا هدما معرفيا للميتافيزيقا يقدم لنا بعد ذلك مباشرة بناءا معرفيا عمليا جديدا يتمثل في الفن . فمنطقيا لا يمكن التجديد إلا بعد الابتعاد عن التقليد. كخلاصة للفصل الثاني نقول أن مهمة الفلسفة مع رودولف كارناب تجاوزت البحث في المسائل الميتافيزيقية (الوجود ، المبدأ ، الجوهر ، الروح ، الشعور ، الذات ، العدم ، ...الخ) إلى ممارسة التحليل المنطقي للغة ، فهذا الأخير نراه جوهرا في النزعة التحليلية لكارناب ، ليصل بنا في الأخير إلى الحكم على القضايا بالصدق أو الكذب من خلال مطابقتها للواقع .

[1] رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، المصدر السابق ، ص 172 .

خلاصة الفصل الثاني: بعد استعراضنا لأهم الأسس التي اعتمدها كارناب في رفضه للميتافيزيقا نجده يقدمها عموما في جوانب متعددة: لغوي، منطقي، تجريبي، علمي.

إذ في تصوره هذا اعتمد التحليل المنطقي للغة كأساس للتمييز بين قضايا تحليلية، قضايا تركيبية و قضايا ميتافيزيقية، ووفق التحقق التجريبي أشار إلى أن النوع الثالث لا مشروعية له في المعرفة لخلوه من المعنى، و هكذا وجب تجاوزه .

و عليه فإن الباحث يرى أن فلسفة كارناب فلسفة تحليلية بامتياز تشتد فيها النزعة الوضعية المنطقية.

تمهيد : بعد تحليلنا منطقية لوضعية كارناب ، و بعد أن أشرنا – في الفصل السابق – أنها رؤية تحليلية لغوية بامتياز ، ذلك أنها ركزت على التحليل المنطقي للغة كمنهج لتصنيف القضايا (تحليلية – تركيبية – ميتافيزيقة) ، و من ثم تجاوز و رفض النوع الأخير لخلوه من المعنى ، نجد أنفسنا أمام حقيقة هامة – وفق تصور كارناب – ألا وهي ضرورة تجاوز التفكير الفلسفي إلى التفكير العلمي .

ولأن الدراسة لا تكتمل إلا بالتطرق للجانب الآخر من الموضوع والمتمثل في النقد فإن الباحث ارتأى تخصيص فصل ثالث يكون بمثابة مناقشة لأفكار كارناب في هذه المسألة .

المبحث الأول : مناقشة الأسس

بالرغم من قدرة كارناب على تمثيله للوضعية الجديدة تمثيلاً متميزاً من زاوية أن تحليله اللغوي قدم لنا وزودنا على الأقل بحقيقة مهمة جداً وهي أن فهم الطبيعة مرتبط بفهم اللغة التي نعبر بها عن هذه الطبيعة، بالإضافة إلى إثرائه الفلسفة المعاصرة بالأبحاث المختلفة التي قدمها لنا من خلال مؤلفاته ، دون أن ننسى مساهمته في استمرارية التوجه الوضعي المنطقي من بعده ، فقد أثر في عقول لاحقة فيما بعد و ربما من أهمهاّ الإنجليزي " آلفريد جولس آير " حيث لأن هذا الأخير يعرف بنزعته المنطقية . وهذا بشهادة الدكتور بهاء درويش حيث يقول « ... ، و لكن دون أن يهجر روح التحليل التي ظلت تلازمه منذ أن كان وضعيا منطقيا حتى آخر أيامه وأعماله »[1]

[1] ألفريد جولس آير ، الفلسفة في القرن العشرين ، مرجع ابق ص 5 .

كما هي بشهادة زكريا إبراهيم (1924-1976) حينما يقول « من بين أعلام (الوضعية المنطقية) في إنجلترا أستاذ مشهور من أساتذة المنطق في الجامعات البريطانية ، ألا وهو الأستاذ ألفرد . ج . أير »[1].

بعد كل الذي سبق ذكره رأينا أن تكون الاعتراضات على الأسس في مطلبين .

المطلب الأول : مناقشة الأسس المنطقية و اللغوية

في هذه الجزئية خلال الفصل السابق تطرقنا إلى مسألتين هامتين هما مسألة منهج التحليل المنطقي للغة ثم مسألة المعنى ، هذا ما دفعنا – وبالرغم من التداخل الشديد بين البعدين خاصة المنطقي و اللغوي في وضعية كارناب – إلى تناول هذه المناقشة في نقطتين :

1- نقد الأسس المنطقية :

أ – إذا كان التفكير المنطقي وفق المنطق الصوري يقر بمبادئ عقلية لابد من احترامها من أجل بلوغ تفكير سليم ؛ من بينها مبدأ الذاتية الذي هو « قانون بديهي يتضمن صدقه بالضرورة (ضرورة عقلية) ، ومعناه أن الشيء هو هو ذاته ، ولن يكون شيئا آخر غير ذاته ، وذلك مهما طرأ عليه من ضروب التغير والتبدل »[2] فإننا نجد هاا المبدأ والاي يعرف كذلك بـ " **مبدأ الهوية** " لم يحترم وفق التحليل المنطقي للغة ، إذ تساءل الباحث كيف تم الانتقال من الحكم على العبارات العلمية إلى الحكم على العبارات الميتافيزيقية من دون تحليل هذه الأخيرة ، بل اعتبره دون معنى ، فارغة من أي مدلول، أي أن التحليل المنطقي لَلغة من البداية يقصي العبارات الميتافيزيقية من أية دراسة فكيف استدل

[1] زكريا ابراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 289 .

[2] مهدي فضل الله ، مدخل إلى علم المنطق – المنطق التقليدي – ، دار الطليعة للطباعة الونشر ، بيروت ، ط2 ، 1979 ، ص 87 .

على تمييزها ؟! . و هكذا نقول أن التمييز في الأصل بين القضايا لم يكن على أساس منطقي بل كان على أساس المقابل المادي فقط، و الدليل على صحة قول الباحث هو أن شريف زيتوني يعتقد « غير أنهم بشيء من التعسف ينطلقون من رأي توكيدي و حكم مسبق »، بالإضافة إلى أن الباحث توصل إلى هذا الحكم من خلال الدراسة التحليلية – الفصل الثاني من هذا البحث– للأساس الذي اعتمده كارناب في حذفه للميتافيزيقا ، وبالضبط أساس العبارات الميتافيزيقية خالية المعنى .

ب– الباحث يعلم أن التحليل ينقلنا من الكل إلى الجزء لنصل إلى أبسط عبارة ذات معنى وإذا كان الحال كذلك لدى الوضعيين المنطقيين عامة ولدى كارناب خاصة فإن هذا الأخير في مسألة الحكم بصدق" القضايا التركيبية "وبناءً على ذلك يعتقد بصدق هذا النوع من القضايا من خلال وجود مدلول حسي مادي للقضية البسيطة وهي جزئية ليحكم بذلك على صدق الكل . فلا تصدق الكلية إلا بصدق جميع الجزئيات « إذ أن صدق الكليات يكون مستمدا من القضايا الجزئية التي يمكن معرفة صدقها عن طريق الخبرة » [1]وهنا نتساءل متى كان صدق الجزء دليلاً على صدق الكل ؟! ، فوفق قانون التداخل في المربع الأرسطي الشهير ، « إذا كانت القضية الجزئية ... صادقة ، فالقضة الكلية ... قد تكون صادقة أو كاذبة ، بمعنى أنها غير معروفة »[2] ، بمعنى أن صدق القضية الجزئية لا يؤدي بالضرورة إلى صدق الكلية . والأمر نفسه " من جانب منطقي مادي "، إذ نقول أن الاستقراء ليس تاما دوماً ، بل هو ناقص أحيانا (تتبع بعض الجزئيات بالدراسة)،وفي النوع الأخير لا يمكن للنتائج أن تكون يقينية في حالة الاستقراء الناقص غير المعلل ، «الذي هو استقراء غير يقيني لأن الحكم فيه لا يقوم على أساس من التعليل وإنما فقط على الملاحظة ، كمعرفة صفة عرضية أو أكثر لبعض الجزئيات وتعميم هذه الصفة على

[1] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 289 .

[2] مهدي فضل الله ، *مدخل إلى علم المنطق – المنطق التقليدي* – مرجع سابق ، ص 123 .

جميع الجزئيات المشابهة لها »[1]فحتى وإن وقفنا على تحريك الفك الأسفل عند المضغ لدى الخروف ، الجمل و الحصان فإن هذا لا يعني صدق القضية (كل حيوان عند المضغ يحرك فكه الأسفل بل هي باطلة و هكذا فإن الحكم على القضايا التجريبية يبقى احتماليا دون يقين، بل قد وصلنا إلى أخطاء مثلما نجده في المثال السابق.

جـ – من منطلق إيماننا بازدواجية الاتجاه الفكري للمعرفة الإنسانية بوجود اتجاه ينطلق من انطباعات حسية وصولاً إلى نظريات معرفية و اتجاه نازل ينطلق من مبادئ عقلية لتتطابق مع موجودات حسية نجد أنه ليس من المنطقي القبول بالطابع التجريبي الاستقرائي لوحده للقضايا التأليفية وهو الذي قال به كارناب ، بمعنى أننا نريد أن نوضح أن هذا النوع من القضايا ليس وقائع فقط بل هو تصورات كذلك .

2 / نقد الأسس اللغوية :

نريد هنا أن نناقش مسألة المعنى ،الذي « فيه ربط الوضعيون المنطقيون بينه و بين المطابقة التجريبية» [2] ، لكن سؤالا يتبادر إلى أذهاننا هنا ، وهو أليس المعنى هو ما يؤديه اللفظ من استحضار للصور الذهنية ؟! وعليه كيف يجوز للوضعيين المنطقيين القول بوجود المعنى من خلال المقابلة المادية فقط ؟! .« فيكفينا للرد أن نقول أن اللغويين يعرفون المدلول بأنه التصور الذهني للشيء المعني» [3]! وهذا ما يدل على أن مسألة المعنى تتجاوز عموما الارتباط بالجانب الوضعي .

أما عن قسمي المعنى الصوري و المادي ، فإنه وإن كان النوع الأول يكشف عن صوابه وخطئه من خلال صورته المنطقية سواء في القضايا الرياضية أو المنطقية ، ولا

[1] المرجع نفسه ، ص 248 .

[2] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 381 .

[3] جمال الدين بوقلي حسن و آخرون ، اشكاليات فلسفية ، مرجع سابق ، ص 159 .

يحتاج إلى التحقق لأنه تحصيل حاصل . إلا أن النوع الثاني (المعنى المادي) يثير حفيظة الدراسين « وعند هذه النقطة نجد مسألة غامضة غموض حقيقيا . أدت إلى إثارة قدر كبير من الجدل و التحليل بين صفوف التجريبيين المنطقيين وقدر كبير من سوء الفهم من جانب نقادهم » [1] . فبعد أن يكشفوا أن العبارة الواقعية هو نوع من ثلاثة : عبارات أبدتها الملاحظة من قبل ، عبارات لم تتحقق بعد لكن من الممكن تحققها ، أو تلك التي تقبل التحقق من حيث المبدأ على أساس أننا نعرف ما يلزم لتحقيقها ؛ يوضح أن « هذه الفئة الثالثة تشمل عبارات نفتقر في الوقت الحالي إلى وسيلة تحققها ، ولكننا نستطيع أن نتصور أي كان تحقيقها في المستقبل ، كالعبارات المتعلقة بالسمات الجغرافية للوجه الآخر للقمر ، أو بالحياة في الكواكب الأخرى » [2].

وهذا ما نسجله نحن كملاحظات أو كتحفظ ، إذ كيف يمكن اعتبار هذه العبارة ولو كانت تقصد وجودا مادياً أنها واقعية و يمكن تصور التحقق منها و نحن الآن لا نمتلك وسيلة للتثبت التجريبي ؟! .

وهنا نرى أنه من حق الباحث ومن حق نقاد الوضعية المنطقية وصف تصور كارناب بالتصور النظري في المجال اللغوي ، حيث أنه قال بإثبات ما لم يتم إثباته يعد . وهنا نتساءل من جديد بما أنه تم قبول هذا النوع من العبارات ، فلماذا لا يتم تعليق رفض العبارات الميتافيزيقية ولو مؤقتا ؟ ولو أنها لا تتوافق والتحقق التجريبي .

في اعتراض آخر يتعلق كذلك بالجانب اللغوي . نجد أن كارناب كغيره من الوضعيين المنطقيين بتركيزه على العبارات الواقعية التجريبية كعبارات ذات دلالة على الواقع المعرفي

[1] هنتر ميد ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، تر فؤاد زكريا ، مكتبة مصر ، د ط ، 1997 ، ص267 .
[2] المصدر نفسه ، ص 267 .

نجده قد تجاهل العبارات التي تعبر عما هو واقع من السلوك الإنساني، فهناك ما يعبر عن ماضيه (عبارات تاريخية) ، أو عن واقعه الاجتماعي (عبارات اجتماعية) ، أو عن سلوكه الفردي (عبارات نفسية) ، أو عن واقع سياسي (عبارات سياسية) ....الخ .

حيث أن « اللغة تقوم في جانب منها بوصف الواقع ، و في جانب منها بالتعبير عن المواقف الإنسانية المختلفة » [1].

كما قد تجاهل الجانب العملي النفعي في اللغة ، وهذا ما نركز عليه بشدة على اعتبار أن أبحاث كارناب تزامنت مع نشوء النزعة البراغماتية في أمريكا .إذ وفق روادها (تشارلز بيرس Charles Peirce 1839-1914) ، (ويليام جيمس William James1842-1910)، و(جون ديوي John Dewey 1859-1952) جعلت من كل شيئ ذريعة لتحقيق غايات عملية نفعية . وبهذا فإن اللغة . مثلما تمتلك جانبا صوريا نظريا فإن بها جانب عمليا كذلك . وهي ليست غاية في ذاتها ، إنها لا تعدو أن تكون وسيلة لتحقيق المنفعة لأن الصدق لدى البراغماتيين لاحق على المنفعة .

إن كارناب وغيره من الوضعيين المنطقيين بفرضهم لضوابط صارمة [2] قد قلصوا من مرونة اللغة ، بل أكثر من ذلك جعلوا من مفهوم اللغة أكثر محدودية لا يتجاوز التحليل المنطقي في حين أن هناك من تفطن قبلهم إلى ضرورة الانتقال من المجال التصوري للغة إلى مجال الاستعمال . هنا نقصد الفيلسوف و المنطقي النمساوي لودفيغ فيتجنشتاين في نظريته الشهيرة " بألعاب اللغة " في فلسفته الثانية *.

إذن وبعد التوصل إلى أن المعنى لا يرتبط بالجانبين الصوري والتجريبي فقط – كما رأى الوضعيون المنطقيون – بل نجده في ما هو تاريخي ، اجتماعي نفسي نفسي وفي كل ما يعبر عن نزوع الإنسان اتجاه الحياة . بل الأهم من ذلك هو أن العبارات الدينية

[1] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 280 .

[2] هنتر ميد ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، مرجع سابق ، ص 268 .

* منتوج التكوين وحدة فلسفة اللغة الأستاذة مجكدود ربيعة (الموسم الجامعي 2019/2018)

هي ذات معنى ، فإذا كان الوضعيون المنطقيون يعتقدون « بأن (الله موجود) لن يكون سوى لغو فارغ لا معنى له على الإطلاق » [1] هو قول مرفوض لأن المعنى هنا لا يتوقف عند حدود التجربة بل يتجاوزها إلى معيار الإيمان ووفق هذا الأخير تكون القضايا الميتافيزيقية ذات معنى ، وتكون القضية (إن الله موجود) هي قضية صادقة .

وعليه نقول أن قول آير « إن كل قضايا الميتافيزيقية هي بالضرورة لغو فارغ لا معنى له ، مادام الهدف الذي ترمي إليه الميتافيزيقا هو أن تصف لنا حقيقة تكمن فيما وراء التجربة » [2] هو قول قاصر ، ذلك أنه مؤسس على مسلمة باطلة مفادها أن" كل قضية لا يمكن التحقق من صحتها بالرجوع إلى الوقائع الملاحظة هي قضية خالية من المعنى " . وهكذا فنحن نرى من الصواب أن لا نقول خالية من المعنى بل نقول قضايا خالية من التجربة المادية وبهذا تصبح القضايا الميتافيزيقية ذات معنى .

المطلب الثاني: مناقشة الأسس التجريبية والعلمية .

بناءً على الترتيب المنهجي والمعرفي الذي اعتمدناه في أسس حذف الميتافيزيقا لدى كارناب خلال الفصل الثاني ، فإننا رأينا أن نسلط الضوء في هذا المطلب على جزئيتين ، الأولى تكون بمثابة نقد للتحقق التجريبي أو ما يعرف بقابلية التحقق التجريبي ، والثانية نناقش فيها مسألة أو أساس وحدة العلم .

1- نقد معيار التحقق التجريبي استئناسا برؤية بوبر :

سبق و أن أشرنا إلى أن كارناب اتخذ معياراً لتحديد دلالة الألفاظ ، العبارات أو القضايا وهذا المعيار الذي يسمي كذلك بمعيار التصديق يجعل من المطابقة الواقعية دليلاً لقبول قضايا و رفض أخرى ، فالفاصل الأساس بين ماهو علمي و ماهو

[1] زكريا إبراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 293 .

[2] المرجع نفسه ، ص 293 .

ميتافيزيقي هو هذا المبدأ ، لكن هذا المعيار وجهت له عدة اعتراضات فارتفعت أصوات ترفضه ، ولعل أشهر من تبنى هذا الرأي الإنجليزي من أصل نمساوي كارل بوبر (Karl Popper 1902-1994) « حيث بين عدم صلاحية مبدأ التصديق كمعيار للفصل بين العلم والميتافيزيقا معتبراً أن قابلية الدحض وليس قابلية التصديق هي المعيار المناب الذي ينسجم أكثر فأكثر مع واقع العلم و ممارسة العلماء » [1] .

بالرغم من أننا في مقام مناقشة أفكار كارناب إلا أن هذا الأمر لا يمنعنا من تحليل ما جاء به ناقدوه . بمعنى أنه من الحق أن نتساءل عن مبدأ الدحض هذا ، كما من حقنا أن نتساءل عن تبريرات بوبر في رفضه لمبدأ قابلية التصديق الذي اعتمده كارناب .

قبل التفصيل في مبدأ الدحض أو ما يعرف " بمبدأ التكذيب" نستعرض المنطلق النقدي الذي تبناه بوبر ضد الوضعيين المنطقيين حيث يقول « والآن فإنه تبعاً لوجهة نظري فإنه لا يوجد مثل ذلك الشيء الذي نسميه استقراء ، ومن ثم فإن استدلال النظريات من قضايا شخصية (محققة بالخبرة) (مهما كانت تعني) ليس مسموحاً به من الناحية المنطقية ، إذن فالنظريات ليست قابلة للتحقيق الإمبريقي مطلقاً – وإذا أردنا أن نتجنب خطأ الوضعيين المنطقيين في حذف الأنساق النظرية للعلم الطبيعي ، عن طريق معيارنا للتمييز ، إذن فعلينا أن نختار معياراً يسمح لنا بأن نضيف القضايا التي لا يمكن تحقيقها إلى ميدان العلم الامبريقي » [2].

في تحليلنا لقول يوبر نلحظ منذ البداية رفضه لاستقراء الوضعيين المنطقيين ، بل هو يرى أنه يجب الاستغناء عنه ، هذا ما يعني عدم منطقية الانطلاق من القضايا الجزئية

[1] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 100 .

[2] كارل بوبر، منطق الكشف العلمي ، تر ماهر عبدالقادر محمد علي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص 77 .

المطابقة للمعاينة الحسية فقط . وحين يذكر وإذا أردنا أن نتجنب خطأ الوضعيين المنطقيين فإنه يكشف صراحة عن رفضه لمبدأ قابلية التحقق التجريبي .

ولتوضيح حقيقة مبدأ التكذيب الذي كان جوهر كتابه الشهير " منطق الكشف العلمي " نقدم الصورة الاستدلالية الآتية « إذا أمكن استنتاج t من p (p هي جملة مشتقة من نظام جملي t) وإذا كانت P كاذبة فكذلك تكون t أيضاً » [1] معنى ذلك أن « النظرية التي يتبناها – بوبر في إطار هذا النوع من التكذيب – تسلم باحتمال الخطأ بالنسبة لكل النظريات العلمية . دون أي تحفظ ، ولكن في نفس الوقت يوجد لدينا نوع من الأساس الإمبريقي غير القابل للخطأ . وهذا الأساس بالإمبريقية لا يعني أن يكون استقرائيا » [2].

إذا كنا قد تساءلنا عن تبريرات مناقشة بوبر للوضعيين المنطقيين ؛ فإننا نرى الجواب في ما يلي :

1– التحقق من أي فكرة إجراء معقد ولا نهائي ، وبهذا تصبح المتابعة مستعصية

2– استحالة وجود عبارات تجريبية متكونة من مدركات حسية خالصة . فالذات حاضرة دوماً بتصوراتها المسبقة .

3– تركيز التحقق التجريبي على ما هو حسي فقط يؤدي إلى إلغاء الأسس الفيزيائية النظرية .

4– المعارف المستخلصة بالاعتماد على الملاحظة الحسية قد تكون ناقصة

[1] بيتر كونزمان وآخران ، أطلس الفلسفة ، مرجع ابق ، ص 235 .

[2] أمري لاكوتش ، فلسفة العلوم ، مرجع سابق ، ص 21

(خاصية الجزئية ، سرعة الوقوع ، التفسير و التأويل) .[1]

عموماً نقول أنه بعد ما كشفنا خلال الفصل الثاني أن التحقق التجريبي لا يراد به حذف الميتافيزيقا فحسب باعتبارها فلسفة أولى ، بل يرفض كذلك كل ما يفتقر إلى المدلول الحسي بما في ذلك – كما ذكرنا آنفا – الفلسفات العقلانية ، المثالية ، الوجودية على أساس أنها لم تقف عند حدود التجربة ، فلا بد أن نشير إلى حقيقة هامة ، وهي أن مناقشات بوبر أثرت في فكر كارناب [2]، حيث تشير الدراسات إلى أن هذا الأخير " تخلى عن الإطار الصلب لنظرية الوضعية المنطقية في المعرفة ،....، وكان كارناب من الذين تخلوا عن هذا المبدأ في فترة مبكرة ، مستبدلاً إياه بمبدأ إمكان التأييد (الأكثر ليبرالية) والذي يفرض علينا الاشتغال بمنطق الاحتمال " [3].

وعليه نقول أن نقد بوبر لكارناب وقوله " بمبدأ الدحض " أو " القابلية للتكذيب " جعل بوبر« يعتقد أن بعض القضايا الميتافيزيقية ذات فائدة للعلم ، وأن ليس كل الميتافيزيقا زائفة» [4] ونحن من جهتنا نجد أن هذه النتيجة هي مقدمة لقبول القضايا الميتافيزيقية بحجة عدم تكذيبها ، فحتى وإن حكمنا بعدم علميتها إلا أننا لا نستطيع أن نعتبرها قضايا خالية من المعنى .

2 / نقد القول بالعلم الموحد :

سبقت منا الإشارة إلى أن من مبادئ الوضعية المنطقية عامة و كارناب خاصة الوصول إلى بناء نسق معرفي مشترك تعود إليه جميع العلوم التجريبية ، وهذا النسق يتجسد في علم الفيزياء وتكون له لغة واحدة هي لغة الأشياء ، « ويعني التجريبي بالعلم

[1] الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 293 .
[2] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 86 .
[3] المرجع نفسه ، ص 250 .
[4] ياسين خليل ، مقدمة في الفلسفة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص 241 .

الموحد ،نسقاً شاملاً من المفاهيم والألفاظ المشتركة بين كل العلوم المختلفة ، دون أن ينفرد بها علم واحد أو اثنان فقط ، مثل هذه اللغة تكون في واقع الأمر لغة عالمية للعلم ، تتيح لنا الجمع بين عبارات تنتمي إلى ميادين متباينة في قضايا ذات معنى » [1].

لكننا نحن نعترض على القول بإمكانية توحيد العلم في نظريات فيزيائية ذلك أن الحياة في جميع جوانبها لا تأخذ بعداً شيئيا فحسب . خلافاً لما اعتقده الفيزيائيون حينما أرادوا معالجة الظواهر على أنها أشياء ، إذ يكفينا برهنة هنا الاستدلال بحياة الإنسان حيث لا نجدها عمليات فيزيائية فقط ، إنها وظائف حيوية ، أحوال شعورية ، إدراكات ذهنية ، تجاذبات اجتماعية ... وغيرها ، وعلى هذا الأساس تكون المعرفة الإنسانية أوسع من أن يشتملها قانون فيزيائي ، هذا من جهة أولى .

و من جهة ثانية نرفض أن يكون التفسير الفيزيائي القائم على السببية و الحتمية كمبادئ استقرائية كافياً لفهم الظواهر ، فيكفينا قولاً أن الظاهرة البيولوجية هي محل تجادل بين التفسير الآلي و التفسير الغائي . فالكائن الحي يقوم بالوظيفة الحيوية لأن الشروط كأسباب توفرت(هايزنبرغ)أم لأنه خلق لغاية القيام بهذه الوظيفة (بول مويي) ؟! وهكذا فإن العلم الفيزيائي فشل في تمثيل العلم البيولوجي وهو الأقرب إليه انطلاقاً من اشتراكهما في الطابع المادي ؛ فكيف له أن يعبر عن حقائق الوجود الميتافيزيقي الذي انتهينا فيما سبق أنه من الاستحالة تجاوزه في المعرفة ؟! .

إن هذا العجز الذي سجلناه على مستوى العلم الفيزيائي في احتواء المسائل المعرفية الأخرى سواء كانت علمية أو فلسفية انعكس على لغته التي قال عنها رودولف كارناب

[1] هنتر ميد ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، مرجع سابق ، ص 275 – 276 .

« في مناقشاتنا ... وصلنا إلى الرأي القائل أن هذه اللغة الفيزيائية هي اللغة الأساسية في كل علم ، وأنها اللغة العالمية التي تشتمل في داخلها على مضمونات كل اللغات العلمية الأخرى » [1].

من هنا نجد أن كارناب وبناء على تحليلنا في الفصل الثاني قد كان متطرفاً جداً في اعتقاده أن كل حقيقة من حقائق العلوم الأخرى تجد لها تعبيراً في اللغة الفيزيائية ، ففي علم النفس على الأقل من الخطأ تفسير سلوك الإنسان تفسيراً آليا ، وفق علاقة مثيرة واستجابة و هو ذات الخطأ الذي وقعت فيه المدرسة السلوكية مع الاختلاف الموجود بين المجال اللغوي (كارناب) والمجال التجريبي الأمريكي(جون واطسن John Watson 1878-1958) .

المبحث الثاني : الفلسفة واستحالة التجاوز

إن أدق تعبير بناء على ما توصلنا إليه في المبحث السابق هو أن حقيقة الفلسفة قد وصلت وفق أبحاث كارناب تتجلى في قول ممثل النزعة الوضعية في الفكر العربي المعاصر زكي نجيب محمود (1905-1993) كالآتي « ...، وبهذا تصبح الفلسفة فلسفة للعلم ، أي تصبح منطقاً للعلم ، أو تحليلاً له وهدفها هو التوضيح لا الإضافة الجديدة ،...، والخير كل الخير أن يجيء التوضيح نفسه على أيدي العلماء أنفسهم ، لأنهم مشربون بمواد علومهم ، لكنهم إذا ما فعلوا ، فلن يكونوا عندئذ علماء ، بل يصبحون فلاسفة لعلومهم التي يتناولونها بالتوضيح والتحليل » [2]. فإذا كان هذا التحديد هو دعوة لرفض الفلسفة و اختزالها في نسق علمي ضيق فإنه من الواجب أن نقول بصعوبة جعل الفلسفة علما ، كما أن الفلسفة التقليدية لا تشكل بأي حال عداء للعلم ، إنها بداية التأمل قبل الوصول إلى البرهنة العلمية .

[1] هنتر ميد ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، مرجع سابق ، ص 277

[2] زكي نجيب محمود ، نحو فلسفة علمية ، مرجع سابق ، ص 81 .

المطلب الأول : الفلسفة أوسع من العلم التجريبي

يريد الباحث هنا أن يظهر عدم إمكانية اختزال الفلسفة في العلم حيث :

1 – الفلسفة موقف من الحياة : إن معرفتنا بحقيقة الفلسفة تجعلنا نقر و منذ البداية بأنها موقف من الحياة ، هذا الموقف وفق منهج التأمل العقلي ولد تفكيراً مختلفا باختلاف المباحث ، إذ أن هذه الأخيرة متعددة ، مبحث الوجود بقسميه الفيزيقي و الميتافيزيقي ، مبحث المعرفة ، مبحث القيم . والقيم أصناف قيم منطقية ، قيم أخلاقية ، قيم جمالية .

ولأن دراستنا هذه اتخذت من الوضعية المنطقية موضوعاً لها ؛ فإنها وبالإضافة إلى

فلسفة اللغة فإنها قد جعلت من فلسفة الطبيعة ومنهجها حجر الأساس . و هنا نقول أن اختزال الفلسفة في العلم غير ممكن ، بل نجد تمايزا بين المضمونين وهذا ما يتجلى في قول محمود يعقوبي « و في كل ذلك يريد العلم بواسطة صيغ كمية أن يعبر عن العلاقات التي تربط الظواهر بعضها ببعض ، دون أن ينشغل بالماهيات والمبادئ الأولى التي تحكم الأجسام ، وبهذا يتبين أن (فلسفة العلوم) يمكنها أن تذهب إلى أبعد ما يذهب إليه العلم » [1]

2 – فعل التفلسف ليس خاصاً :إن الرغبة في جعل الفلسفة منطقا للعلم تصطدم بحقيقة فعل التفلسف الذي هو « ليس تأملا في العلم وحده بل في جميع المعارف سواء ، أكانت عقلية أم نقلية ، علمية أو ميتافيزيقية » [2]. لا سيما في وقتنا هذا وقد اشتدت الدراسات المختلفة في فلسفة العلوم بل تخصصت أكثر (فلسفة الرياضيات ، فلسفة العلوم التجريبية والبيولوجية ، فلسفة العلوم الإنسانية ...) .

---

[1] محمود يعقوبي ، خلاصة الميتافيزياء فلسفة الطبيعة ، دار الكتاب الحديث الجزائر ، ج2 ، د ط ، 2002 ، ص 06 .

[2] جمال الدين بوقلي حسن وأخرون، قضايا فلسفية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط4 ، 1986 ، ص 32 .

لما تشير الدراسات إلى أن « اختيار فلاسفة الوضعية المنطقية للعلم ليكون مجالاً لممارسة النشاط الفلسفي لم يكن خياراً موفقا . فقد ظن هؤلاء أن إرجاع الفلسفة إلى أبستمولوجيا للعلم سيخلصها من الخوض في الأمور الميتافيزيقية ، وسيسمح بعمل فلسفي جماعي موحد كما ظن كارناب ،....،ولكن ما حدث في ميدان فلسفة العلم بعد الوضعية المنطقية ، لا بل أثناء سيادتها ، قد أظهر أن مجال المعرفة العلمية ليس بالمجال الذي يسمح بقول فلسفي متماسك » [1] فإن هذا الأمر يزيدنا يقينا أن الأبحاث الفلسفية بجذورها الميتافيزيقية أوسع من أن يحتويها أي وعاء علمي مهما كان .

المطلب الثاني : ضرورة الفلسفة للعلم

إن بناء معرفة إنسانية تتصف بالشمولية تشترط ما يلي :

1 – ضرورة المنهج الفلسفي للعلم :

نقترب في بحثنا هذا من اختتام الردود والمناقشات المتعلقة بالوضعية المنطقية لدى رودولف كارناب ، ومنه نصل إلى إعادة الاعتبار للفلسفة عامة وللميتافزيقا خاصة ، لكن هذا لا يعني ابتعادنا عن العلم وعن نزعتيه الصورية والتجريبية ، بل نريد إثبات ضرورة التأمل الفلسفي للتفكير العلمي ، وفي هذا قيل « إن الفلسفة تسبق التفكير العلمي و تصاحبه و تلحقه ولا تفارقه ، ذلك أن الفلسفة تقتضي عقلا تركيبيا، بينما العلم يقتضي عقلا تحليلياً . إذا كان العلماء يخصصون في جزء صغير من أجزاء الكون(أو المعرفة) فإن الفلاسفة يحاولون أن يلموا أشتاتا شتى من أنواع المعرفة ، وهذا ما يفسر كيف أن القدماء كانوا يمزجون بين العلم و الفلسفة » [2].

[1] وداد الحاج حسن ، رودولف كارناب ، نهاية الوضعية المنطقية ، مرجع سابق ، ص 244 .

[2] جمال الدين حسن بوقلي ، قضايا فلسفية ، مرجع سابق ، ص 34 .

إن اعتقاد الباحث بضرورة الفلسفة اتجاه العلم هو كذلك من أجل التكامل المنهجي في المعرفة « ولذا كان من الضروري أن نلم على الأقل ببعض المعلومات عن المناهج والنتائج المتعلقة بهذا الموضوع ، ولقد حاولنا في مناقشاتنا للعمليات التركيبية التي تقوم بها الفلسفة ، إزاء نتائج الكشوف المعملية ، أن نعطي القارئ فكرة مؤداها أن العمل الأكبر للفيلسوف هو أن يجمع الأجزاء معاً » [1] . فالمعرفة الإنسانية هي نتاج تكامل المنهجين الاستنتاجي والاستقرائي ، ذلك أن الأول يهدف إلى انطباق الفكر مع نفسه (بعد تصوري) بينما الثاني فيراعي انطباق الفكر مع الواقع (المعطى الحسي) والعلاقة بينهما تكاملية .

2/ ضرورة الموضوع الفلسفي للعلم :

لعل ما يبرز التلاحم الذي أصبح جليا اليوم بين مجالي الفلسفة و العلم هو أن الفلسفة هي بحث واهتمام بالعلم ونظرياته و حقائقه ، فنجد أن لكل علم فلسفة ، وأكثر من ذلك أن الفلسفة بقيت ملازمة لما تولد عنها : فلسفة المنطق ، فلسفة اللغة ، فلسفة الأخلاق ، فلسفة الدين ، ... وغيرها . إن علاقة الفلسفة بالعلم التجريبي قديمة قدم التفكير الفلسفي ، وإن التأكيد على تلازمية الميتافيزيقا و الفيزيقا ليست وليدة اليوم ، فالفيلسوف الفرنسي الشهير " رينيه ديكارت " وبالرغم من عقلانيته التي يرفضها كارناب – كما أشرنا خلال الفصل الثاني – لم ينكر وجود علاقة بين الميتافيزيقا والفيزيقا ، حيث في كتابه الشهير " مبادئ الفلسفة " يذكر « وهكذا فإن الفلسفة كلها أشبه بشجرة ، جذورها الميتافيزيقا و جذعها الفيزياء ، والفروع التي تخرج من هذا الجذع هي العلوم الأخرى ، التي ترتد إلى ثلاثة علوم رئيسية ، هي الطب و الميكانيكا والأخلاق » [2].

[1] هنتر ميد ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، مرجع سابق ، ص 62 .

[2] فؤاد زكريا ، آفاق الفلسفة ، مكتبة مصر ، مصر ، ط1 ، 1991 ، ص 121 .

خلاصة الفصل الثالث : إن الفلسفة بالنسبة لنا في جانبها الميتافيزيقي هي إعمال للعقل وتدعيم للإيمان ، وان فعل التفلسف خاصية إنسانية ملازمة للوجود البشري ، وإن لها أثر المساهمة في تنظيم أخلاقنا وسلوكاتنا، ولأن الوجود قسمان فيزيقي ندرك حقيقته بالعلم وميتافيزيقي ندركه بالتفلسف ، فإن فهم ظواهر هذا الوجود تحتاج إلى التفسيرين معاً فإذا كان العالم الفيزيائي يهتم بظواهر الطبيعة من حرارة، ضوء، كهرباء... وغيرها، فإن الفيلسوف يقف موقف المتأمل الباحث عن العلة الأولى التي أوجدت هذه الظاهرة .

في ختام هذا البحث ، وإجابة عن إشكاليته وعن تساؤلاته الجزئية التي تم طرحها في مقدمته نشير إلى أن موقف رادولف كارناب من الفلسفة يتضح من خلال ما استخلصناه من نتائج كالآتي :

الفلسفة مع كارناب أخذت طابعاً جديداً ، فقد أصبحت بمثابة تحليل منطقي للغة العلم، أي تحليل منطقي لتعبيراته ومصطلحاته، وبهذا تم نقلها من مجال المعرفة إلى مجال اللغة، وما تحليلنا للغة إلا تحليل للفكر.

إن كارناب قد اتخذ من التحليل المنطقي للغة منهجاً ، وبه كشف على أن القضايا ذات المشروعية **صنفان صورية و واقعية** ، فالأول يتضمن قضايا تحليلية وهي قضايا الرياضيات والمنطق وتحمل صدقها في ذاتها ، كما تتضمن قضايا المتناقضات التي هي سلب الأولى ، وتتميز بالتناقض الداخلي وبطلانها يعود إلى صورتها فقط ، أما الثاني فيتمثل في القضايا التركيبية التي تعود في صدقها أو كذبها إلى أحكام التجربة، وهي قضايا تجريبية ، وباستثناء هذين الصنفين لا يمكننا أن نعثر إلا عن القضايا الميتافيزيقية التي هي قضايا خالية من كل معنـى ، وجب حذفها لمعالجة مسألة تأخر الفلسفة .

إن رؤية كارناب في حذفه للميتافيزيقا باعتبارها أساس الفلسفة قامت على أسس يقدمها في مقاله الشهير " حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة " ، انطلق فيها من أن الكلمات الميتافيزيقية لا معنى لها ، مثل الوجود ، المبدأ ، الجوهر ، الروح ، الشعور ، الذات ، العدم ، ...الخ لينتهي بذلك إلى خلو كل الميتافيزيقا من المعنى .

لم يكتف كارناب باعتماد أسس لغوية منطقية بل اعتمد إلى جانبها أسسا تجريبية علمية، وربما هذا ما يميزه عن غيره من الوضعيين المنطقيين، حيث مع التمييز بين قضايا لها معنى وقضايا ليس لها معنى، رأى بضرورة مبدأ قابلية التحقق التجريبي، الذي وفقه تصبح القضية لا تقرر سوى ما يمكن التحقق منه امبريقيا، وكل ما يأتي بعد الخبرة الحسية غير قابل لأن يقال أو أن يفكر فيه أو أن يسأل عنه.

وعن الأساس العلمي نقول أن كارناب قد عرف بنزعته المتمثلة في " التحول إلى الفيزيائية لضمان توحيد العلم "، والهدف من هذا الأساس هو إقصاء المسائل الزائفة بعد إقصاء العبارات الزائفة، فلا نعتمد إلا لغة وحيدة هي لغة الفيزياء التي تستعبد كل ما يعبر عن التفسير الميتافيزيقي، ولا تقبل مكانه إلا التعبيرات التي تضمن تفسيراً فيزيقيا علميا تتفق حوله كل العقول.

إن رؤية كارناب في رفضه للفلسفة، وإن انطلقت من ضبطه لقواعد منطقية تجريبية فقد انتهت إلى رفضه للعديد من الفلسفات التي اعتبر مضامينها دون معنى لصبغتها الميتافيزيقية، فلا عقلانية ديكارت، ولا مثالية كانط، ولا حتى وجودية هيدغر بقادرة على التحدث بلغة علمية، ولا على التعبير عن قضايا واقعية، فكل مسائلها هي بمثابة فلسفة أولى بعيدة كل البعد عن مواضيع العلم التجريبي.

ولأن دراستنا ليست تحليلية فقط بل هي نقدية كذلك فإننا سجلنا بعض الاعتراضات المعرفية ضد تصور كارناب، نقدمها فيما يلي:

– التحليل المنطقي الذي جاء به كارناب كان مسلطا على القضايا العلمية دون الميتافيزيقية، وهنا يصبح من غير المقبول أن نرفض هذه الأخيرة دون تحليل عباراتها ومن ثم الوقوف على مسألة المعنى على مستواها.

– في جانب التحقق من التعبيرات والقضايا العلمية التي رآها كارناب ذات معنى نجده لغوياً فقط دون أن يكون تجريبياً واقعياً ، بمعنى أنه يقف عند الميزة المنطقية الصورية للقضايا دون المقابلة المادية ، أي أن بحثه بقي على المستوى اللَغوي فقط.

– أما عن مسألة المعنى فنجد أن كارناب كغيره من الوضعيين المنطقيين أراد له أن يكون محصوراً في المجال الواقعي المادي فحسب، وهذا ما نجده يتعارض مع حقيقة أن المعنى هو ما تؤديه القضية من فهم أو ما تعكسه من تصورات على مستوى الذهن، وهذه الحقيقة بدورها تجعل المعنى يتعدى المجال المادي الفيزيقي إلى مجال الميتافيزيقي، وفي هذا تعارض مع تصور كارناب.

– معيار القابلية للتحقق التجريبي نجده يخل بالسلامة المنطقية للقضايا ، على اعتبار أنه يسمح ببلوغ أحكام عامة ، انطلاقا من التحقق من بعض الجزئيات فقط ، إذ ليس من المنطقي أن نحكم بصدق القضية الكلية لأن الصدق وجد في بعض الجزئيات ، وهذا ما دفع بالفيلسوف كارل بوبر إلى استبداله بمعيار" قابلية التكذيب" ، الذي لا يستبعد أي قضية سواء كانت علمية أو ميتافيزيقية ، كما أنه يعيد الاعتبار للقضايا الميتافيزيقية من خلال عدم تكذيبها بالرغم من استبعادها من المجال العلمي ، بالإضافة إلى أنها ليست خالية من المعنى بصفة مطلقة بل هي خالية من المعنى العلمي فقط .

هذا ما يعني أنه من غير الممكن تجاوز الفلسفة لحاجة العقل إلى تساؤلاتها وفق منهج التأمل العقلي، ولحاجة العلم التجريبي إليها،كون أن العلم يدرس العلل القريبة للظواهر في حين أن الفلسفة تتأمل في عللها البعيدة.

وهكذا فإن الوضعية المنطقية لدى كارناب وإن كانت فلسفة تحليلية بامتياز، عبرت عن تميزه عن غيره من الوضعيين المنطقيين، كما عبرت عن اهتمامه باللغة كوسيلة لبلوغ غاية مضمونها تخليص الفلسفة من التعبيرات الميتافيزيقية ، فرؤيته بذلك تتجاوز الوضعية عامة باستنادها إلى الأساسين المنطقي واللغوي، متخذة موقفا عدائياً من الفلسفة الأولى، إلا أنها قد اصطدمت بحقيقة معرفية هامة مفادها أن خوض العالم في المسائل الفلسفية لا يمكن ان نعتبره إلا تهافتاً فلسفيا جديداً.

وعليه فإن نزعة كارناب وبالرغم من أسسها العلمية لم تخرج عن دائرة التيارات الفلسفية للقرن العشرين للميلاد، بمعنى أن كارناب لم يستطع تجاوز الفلسفة بأبحاثها الميتافيزيقية ، اللاهوتية،الأخلاقية، والمعرفية، بل كل ما هناك هو أنه قدم تصوراً تحليلياً جديداً لكن بصبغة علمية منطقية لغوية، وبهذا فقد تحولت أبحاثه من هدم الفلسفة إلى إثرائها ، ذلك أن نقد الفلسفة هو في حد ذاته فلسفة .

أولا : المصادر

أ/ باللغة العربية :

– رادولف كارناب، البناء المنطقي للعالم والمسائل الزائفة في الفلسفة ، تر يوسف تيبس ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2011 .

– رودولف كارناب ، حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقي للغة ، من كتاب كيف يرى الوضعيون الفلسفة ، للناشر آي جي مور ، تر نجيب حصادي ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، دار الآفاق الجديدة ، د ط ، د ت .

– رودولف كارناب ، الأسس الفلسفية للفيزياء ، تر: السيد نفادي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1993 .

ب/ باللغة الإنجليزية :

1- CARNAP . R , the logical structure of the world and pseudoproblems in philosophy , translated by Rolf .A .George , london , 1968.

ثانيا : قائمة المراجع باللغة العربية

– أحمد موساوي ، مدخل جديد إلى الفلسفة التحليلية المعاصرة ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2018 .

– إسلام عزمي ، لودفيغ فتجنشتاين ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، دط ، د ت.

– الحاج حسن وداد ، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقية،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، د ط ، 2001 .

- الخشت محمد عثمان ، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم ، دار قباء ، القاهرة ، مصر ، دط ، 1997 .

- الخشت محمد عثمان ، العقل ...ومابعد الطبيعة ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، مصر ، دط ، 1995 .

- الشريف زيتوني ، مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية، تصدير محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2006 .

- الشكرجي جعفر حسن ، دراسات في الميتافيزيقا والنفس ، مكتبة الأندلس، ليبيا، د ط، 2002 .

- آلفريد جولس آير ، الفلسفة في القرن العشرين ، تر بهاء درويش ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، مصر ، ط1 ، 2006 .

- آمري لا كاتوش ، فلسفة العلوم ، تر ماهر عبدالقادر محمد علي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ج6 ، ط1 ، 1997 .

- بوقلي جمال الدين حسن، قضايا فلسفية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط4 ، 1986 .

- بوقلي جمال الدين حسن وآخرون ، إشكاليات فلسفية ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، الجزائر ، 2008 .

- خليفي بشير ، الفلسفة وقضايا اللغة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2010

- زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة ، د ط ، د ت .

- زكريا فؤاد ، آفاق الفلسفة ، مكتبة مصر ، ط1 ، 1991 .

- زيدان محمود فهمي، في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1975 .

– فخري ماجد ، أرسطو طاليس المعلم الأول ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، د ت .

– فضل الله مهدي ، مدخل إلى علم المنطق – المنطق التقليدي – ، دار الطليعة للطباعة الونشر ، بيروت ، ط2 ، 1979

– كارل بوبر ، منطق الكشف العلمي ، تر ماهر عبدالقادر محمد علي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت .

– كامل فؤاد ، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1993 .

– ماهر عبد القادر محمد علي ، خرافة الوضعية المنطقية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، د ط ، د ت .

– محمد ثابت الفندي ، مع الفيلسوف ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، دط ، 1987 .

– منذر الكوثر ، فلسفة التحليل والبحث عن المعنى الوضعية المنطقية عند آيار ، دار الحكمة ، لندن ، انجلترا ، ط1 ، 2004 .

– نجيب محمود زكي ، نحو فلسفة علمية ، مطتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1980 .

– هنتر ميد ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، تر فؤاد زكريا ، مكتبة مصر ، دط ، 1997

– هويدي يحي ، الفلسفة الوضعية في الميزان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د ط ، 1971 .

– ياسين خليل ، مقدمة في الفلسفة المعاصرة ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 2 ، 2012 .

- يعقوبي محمود ، خلاصة الميتافيزياء: فلسفة الطبيعة ، دار الكتاب الحديث ، الجزائر، ج2 ، دط ، 2002 .

ثالثا : الموسوعات والمعاجم

أ/ المعاجم :

- إبراهيم مدكور ، المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، مصر ، دط ، 1983 .

- أبو رغيف رحيم الموسوي ، الدليل الفلسفي الشامل ، دار المحجة البيضاء ، ج3، حرف الواو ، ط1 ، 2015 ، ص 662 .

- بيتر كونزمان وآخران ، أطلس الفلسفة ، تر: جورج كتورة ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2007 .

- يعقوبي محمود ، معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام ، دار الميزان للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1998 .

ب/ الموسوعات :

- بدوي عبد الرحمان ، موسوعة الفلسفة ، ج2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1984 .

- عباس فيصل ، موسوعة الفلاسفة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996 .

رابعا: المجلات والدوريات

- النبوغ ، مجلة فصلية ثقافية فكرية ، العدد الأول ، المغرب ، ربيع 2011 .

فهرس الموضـوعات

المحتوى	الصفحة
- شكر وتقدير	
- إهـــداء	
- مقدمـــة	أ
الفصل الأول : الفلسفة المعاصرة والميتافيزيقا	06
المبحث الأول : الوضعية المنطقية والميتافيزيقا	07
المطلب الأول : في الوضعية المنطقية	07
1- مفهومها	07
2- الجذور التاريخية للوضعية المنطقية	08
3- نشأتها ومصير أعضائها	09
4- مبادئها	11
المطلب الثاني : في الميتافيزيقا باعتبارها فلسفة أولى	18
1- مفهوم الميتافيزيقا	18
2- الميتافيزيقا واللغة	21
3- موقف الوضعيين الأوائل من الميتافيزيقا	21
المبحث الثاني : رودولف كارناب أبرز الوضعيين المنطقيين	26
المطلب الأول : التعريف بكارناب ، حياته ومؤلفاته	26
1- حياته	26
2- سيرته التعليمية	27
3- مؤلفاته	27
المطلب الثاني : المؤثرات العلمية والفلسفية في فكر كارناب	28
1- تأثير فريجه وراسل	28
2- التأثيرات السياسية ، الاقتصادية ، والدينية في مقابل ميولاته الفيزيائية	30
3- تأثره بفلسفة اللغة	31

الفصل الثاني : كارناب ...نحو تجاوز الفلسفة	34
المبحث الأول : أسس حذف الميتافيزيقا لدى كارناب	35
المطلب الأول : الأسس المتعلقة بالجانب اللغوي المنطقي	35
1- التحليل المنطقي للغة	35
2- الخلو من المعنى	39
المطلب الثاني : الأسس المتعلقة بالجانب التجريبي العلمي	45
1- القابلية للتحقق التجريبي	45
2- التحول إلى الفيزيائية	47
المبحث الثاني : نقد كارناب للميتافيزيقا والفن كبديل لها	50
المطلب الأول : نقد كارناب للميتافيزيقا	50
1- نقد الفلسفة العقلانية	51
2- نقد الفلسفة المثالية	53
3- نقد الفلسفة الوجودية	56
المطلب الثاني : الفن كبديل للميتافيزيقا	58
1- الميتافيزيقا تفكير أسطوري دون مدلول	58
2- الفن ممارسة عملية	59
الفصل الثالث : نقد رفض كارناب للفلسفة	62
المبحث الأول : مناقشة الأسس	63
المطلب الأول : منا قشة الأسس المنطقية واللغوية	64
1- نقد الأسس المنطقية	64
2- نقد الأسس اللغوية	66
المطلب الثاني : مناقشة الأسس التجريبية و العلمية	69
1- نقد معيار التحقق التجريبي استئناسا برؤية كارل بوبر	69
2- نقد القول بالعلم الموحد	72
المبحث الثاني : الفلسفة واستحالة التجاوز	74

المطلب الأول : الفلسفة أوسع من العلم التجريبي	74
1- الفلسفة موقف من الحياة	74
2- فعل التفلسف ليس خاصا	75
المطلب الثاني : ضرورة الفلسفة للعلم	76
1- ضرورة المنهج الفلسفي للعلم	76
2- ضرورة الموضوع الفلسفي للعلم	77
- خاتمة	78
- قائمة المصادر والمراجع	82
- فهرس الموضوعات	87